مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)

Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

ظاهرة الغموض في شعر المتنبي
من خلال كتاب (الفَسْرِ)، لابن جني(*)

د/ عبد الناصر علي محمد النخعي
أستاذ علم اللغة المشارك في كلية التربية - جامعة عدن
alialiabuali07@gmail.com

د/ عبد الله راجحي محمد غانم
أستاذ النحو والصرف واللغة المشارك
في كلية التربية الحديدة - جامعة الحديدة
rajeghe2@yahoo.com

*) تاريخ تسليم البحث 2/6/2023 تاريخ قبوله للنشر 18/1/2023
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

ظاهرة الغموض في شعر المتنبي
من خلال كتاب (الفَسْرِ)، لابن جني

د/ عبد الناصر علي محمد النخعي
أستاذ علم اللغة المشارك في كلية التربية - جامعة عدن

د/ عبد الله راجحي محمد غانم
أستاذ النحو والصرف واللغة المشارك
في كلية التربية الحديدة - جامعة الحديدة

الملخص

يدرس هذا البحث الموسوم بـ(ظاهرة الغموض في شعر المتنبي من خلال كتاب (الفَسْر) لابن جني، دراسة نقدية)، قضية من أهم القضايا، التي انماز بها الشعر العربي بعامة، وشعر المتنبي بخاصة، فالغموض ظاهرة ناقشها العلماء– متقدمين ومتأخرين.

والمتنبي يعد من أكثر الشعراء إلغازًا في ألفاظه، وإبهامًا في معانيه، ويُعد ابن جني من أوائل اللغويين الذين فسَّروا قصائد المتنبي وشرحوها، وانماز كتابه (الفسر) من غيره من الشروحات بأنَّه أوثق الكتب إسنادًا للأبيات، فالشارح قد قرأ الديوان على الشاعر نفسه، بل كان يناقشه في العديد من المسائل اللغوية.

وقد اقتضت الدِّراسة أن تنقسم على مبحثين، يسبقهما تمهيد، ويلحقهما خاتمة على النحو الآتي:

تناول التمهيد مكانة الشاعر ومنزلته التي تبوّأها بين الشعراء، وكذلك تناول مكانة الشَّارح ومنزلته بين علماء العربية.

كان المبحث الأول قد درس الألفاظ التي وردت في بعض أبيات المتنبي، وما ذهب إليه ابن جني عند تفسيرها.

ودرس المبحث الثاني المعاني المبهمة التي وردت في بعض أبيات المتنبي، وناقش ابن جني في آرائه، بعد موازنتها بآراء النقاد، الذين كتبوا في شعر المتنبي.

ثم ختمت هذه الدراسة بتدوين أهم النتائج التي توصّلتْ إليها، وتلاها كشَّافٌ بالمراجع والمصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة الغموض، شعر المتنبي، كتاب الفسر.

The phenomenon of ambiguity in Al-Mutanabbi's Poetry Through the book (Al-Fasr), by Ibn Jinn

Dr. Abdel Nasser Ali Muhammad al-Nakhai
Associate Professor of Linguistics at the College of Education - University of Aden

Dr. Abdullah Rajhi Muhammad Ghanem
Associate Professor of Grammar, Morphology and Language At the College of Education, Hodeidah - University of Hodeidah

ABSTRACT:

This research entitled: “The phenomenon of ambiguity in the poetry of al-Mutanabbi in Ibn Jinni’s book (al-Fasr): A critical study” investigates one of the most important topics in the Arabic poetry in general and in the al-Mutanabbi’s poetry in particular. Ambiguity is a phenomenon which has been discussed by scholars in history and they are divided into two directions: One direction approves ambiguity while the other does not.

Al-Mutanabbi was one of the ambiguous poets and Ibn Jinni was one of the linguists who explained the al-Mutanabbi’s poems. The (al-Fasr) book is distinguished in comparison with another explanatory books as most reliable book that references poetic verses since the explainer was reading and discussing the *diwan* (poetic book) with the poet himself.

This study is divided into two chapters preceded by an introduction and ended with a conclusion. The Introduction presents the poet’s place in poetry and the explainer’s place in the linguists of Arabic.

Chapter One, Lexical Ambiguity, studies the words in some of the al-Mutanabbi’s verses and Ibn Jinni’s explanations.

Chapter Two, Semantic Ambiguity, studies the ambiguous meanings in the al-Mutanabbi’s verses and discusses Ibn Jinni’s opinions in comparison with other critics who have written in al-Mutanabbi’s poetry.

The study concludes with the most important findings and a list of references in this study.

Keywords: The phenomenon of ambiguity, Al-Mutanabbi's poetry, The Book of Interpretation

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصّلاة والسّلام على النبيّ، الذي نطق بأفصح لسان، وبعد؛ فهذا البحث الموسوم بـ(ظاهرة الغموض في شعر المتنبي من خلال كتاب (الفَسْر) لابن جني)، يدرس قضية من أهم القضايا، التي امتاز بها الشعر العربي بعامة، وشعر المتنبي بخاصة، فالغموض ظاهرة ناقشها العلماء- متقدمين ومتأخرين- وانقسموا فيها على قسمين:

قسم يمدح الغموض ويستحسنه، وقسم يقدح فيه ويستقبحه، وقلما نجد من يتوسط في هذه المسألة الشائكة.

والشاعر المتنبي يعد من أكثر الشّعراء إلغازًا في ألفاظه، وإبهامًا في معانيه، ويُعد ابن جني من أوائل اللغويين الذين فسّروا قصائد المتنبي وشرحوها، وامتاز كتابه (الفسر) من غيره من الشروحات بأنه أوثق الكتب إسنادًا للأبيات، فالشارح قد قرأ الديوان على الشّاعر نفسه، بل كان يناقشه في العديد من المسائل اللغوية، التي يرى فيها إشكالًا وغموضًا، وهذا ما جعل الباحثين يتخذان (الفسر) مصدرًا رئيسًا في عزو أبيات المتنبي التي خضعت للدراسة، ومما جعل الباحثين- كذلك- يناقشان آراء ابن جني وأقواله؛ كونه أقرب الناس إلى الشاعر، وأكثرهم دراية بما كان يريده المتنبي.

وقد اقتضت الدراسة أن تنقسم على مبحثين، يسبقهما تمهيد، ويلحقهما خاتمة على النحو الآتي:

تناول التمهيد مكانة الشاعر ومنزلته التي تبوّأها بين الشعراء، وكذلك تناول مكانة الشارح ومنزلته بين علماء العربية، وفي منهجه الذي سار عليه في شرحه ديوان المتنبي، وتحدثتَ -كذلك - في التعريف بالغموض وآراء النقاد في مسائل الغموض الشعري.

وكان المبحث الأول بعنوان: الغموض اللفظي، دُرِستْ فيه الألفاظ التي وردت في بعض أبيات المتنبي، وما ذهب إليه ابن جني عند تفسيرها.

والمبحث الثاني كان بعنوان: الغموض المعنوي، وقد دُرِستْ فيه المعاني المبهمة التي وردت في بعض أبيات المتنبي، مع مناقشة ابن جني في آرائه، بعد موازنتها بآراء النقاد، الذين كتبوا في شعر المتنبي.

ثم خُتمت هذه الدراسة بتدوين أهم النتائج التي توصّلت إليها، ثم بعد ذلك وضعنا كشّافًا بالمراجع والمصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

التمهيد:

لم يحظَ شاعر عربيّ بمثل ما حظي به الشاعر أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي أبو الطيب الكندي الشهير بالمتنبي (ت ٣٥٤هـ)؛ إذ لقي اهتمامًا كبيرًا من المتقدمين والمتأخرين على السواء، بدءًا من أحد معاصريه، ومجالسيه أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) الذي شرح قصائد المتنبي في أكثر من مصنف، أهمها السِفْر العظيم (الفَسْر)، ومرورًا بشاعر لا يقل عنه شأنًا في الشعر أعني أبا العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، الذي شرح الديوان في كتابين أحدهما يشكك فيه النقاد والباحثون وهو (معجز أحمد)، والآخر، الذي عليه كثير من النقاد، بأنّه الشرح الصحيح الذي ينسب إلى المعري، وهو كتاب (اللامع العزيزي)، ثم يأتي بعد ذلك أحد الأعلام

المشهورين في اللغة والفقه والتفسير، أعني أبا الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ) الذي شرح الديوان في كتاب نفيس، كان الغايةَ في بابه[١]. ثم تتوالى الشروحات على هذا الديوان على مر الزمان، فلا تخلو حقبة زمنية من شرح أو أكثر، ومازالت هذه الشروحات حتى يومنا هذا ما بين مسهب ومقتضب.

وهكذا نجد أنفسنا كلما تقدم بنا الزمن في رحلته الطويلة سلّمنا شرحًا لشاعر العرب الحكيم، وهو بحق أعجوبة زمانه، بل الزمان كله، ونادرة عصره، أو العصور كلها، فهو الذي "سار ذكره مسير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر، وكادت الليالي تنشده والأيام تحفظه"[٢].

ولم يكن الأمر حَكْرًا على علماء العربية واهتمامهم بشرح شعر المتنبي، والحديث فيه، بل نجد أنَّ هناك ما يمكن أن نسميه بالظاهرة المتنبيَّة العالمية، فهذا الأديب الفرنسي (ريجي بلاشير) الذي قدم أطروحة الدكتوراه في المتنبي وشعره[٣].

وهذا العالم والمؤرخ الألماني (فريدرتش ديتريصي) بعد ترجمته ديوان المتنبي يكتب بحثًا بعنوان (المتنبي وسيف الدولة)[٤].

ونجد أفضل وسام عالمي يتقلّده المتنبي على يد الأسباني (إميليوغارسية غومث)، حين يصفه بأنّه أعظم شعراء العربية المحافظين المجيدين عبقريةً، وأنه صانع آخر ثورة في الشعر العربي[٥].

إن شخصية المتنبي وجرأته في القول، وحدها هي التي جعلت النقاد يلتفتون إليه، منذ عاش في القرن الرابع الهجري، حتى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري، وجعلت معاصريه يحملون عليه ما بين حسد وحقد ونقد وتفنيد لكل ما يقول؛ ولاسيما وهو القائل: (من البسيط)[٦].

أنامُ مِلْءَ جُفُونِي عن شَوَارِدِهَا وَيَسْـــهرُ الخَلْــقُ جَرَّاهَــا ويَخْتَصِــمُ

كتاب الفَسْر:

الفَسْر[٧] بفتح الفاء وسكون السين، يُعد هذا الشرح من أهم شروحات ديوان المتنبي؛ لما يمثله صاحب الكتاب من مكانة بين علماء العربية، ولما يتبوّأه ابن جني (ت٣٩٢هـ) من منزلةٍ عند الشاعر نفسه، صاحب

(١) يُنظر: إنباه الرواة ٢٣٢/٢.

(٢) يتيمة الدهر ١٣٩/١.

(٣) يُنظر: الفن ومذاهبه، ص٣٢٨.

(٤) يُنظر: المتنبي وسيف الدولة، ص١.

(٥) المتنبي شاعر فرض نفسه على محبيه وأعدائه معًا، د. عبد الرحمن الهواوي، ص٣.

(٦) البيت في الفسر ٣٧٥/٣.

(٧) الفَسْر: التفسير، وهو بيان الكتاب وتفصيله، والتفسِرة: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء، يستدل به على مرض البَدَن، وكل شيء يُعرف به تفسير الشيء فهو تفسِرة، العين ٢٤٧/٧. ويرى الباحث أن قول الخليل آنفًا، يُعدُّ سبقًا للعرب في مجال العلوم الطبية، وهو ما يسمى حاليًا التحليل المخبري.

الديوان، الذي "أُلفت الكتب في تفسيره، وحل مشكله وعويصه، وكثُرت الدفاتر على جيده ورديئه وتكلم الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه، والإفصاح عن أبكار كلامه وعونه وتفرقوا فرقًا في مدحه والقدح فيه، والنضح عنه والتعصب له... وتفرده عن أهل زمانه بملك رقاب القوافي ورق المعاني؛ فالكامل مَن عُدّت سقطاته والسعيد مَن حسبت هفواته"(١).

ولنا أن نصف هذا الشرح بأنّه سفر من أسفار العربية؛ لما صَبّ فيه ابن جني من شواهد شعرية، ولا يمكن لدارس من الدارسين أن يغفل هذا الكتاب، ويغفل ما فيه من الفوائد الجمة، والنكت العلمية القيمة، والنوادر اللغوية العجيبة، ولا يمكن –كذلك – أن يغفل آراء ابن جني، الذي يُعدُّ فَلْتَةً من فلتات الزمان، التي لم تتكرر – على حد علم الباحثين –.

وقد حظي الفسر نفسه بالشرح والدراسة بدءًا بـ(فَشْر الفَسْر) لأبي سهل محمد بن الحسن الزوزني (ت ٤٤٥هـ)، ومرورًا بـ(الفتح على أبي الفتح) لابن فورّجة البروجردي (ت ٤٥٥هـ)، وبـ(التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي) لعلي بن عيسى الربعي (ت ٤٢٠هـ)، وحديثًا حظي كتاب الفسر بدراستين الأولى بعنوان (ملامح منهج التأويل عند ابن جني في الفسر الصغير) للدكتور عمر بن عبد العزيز المحمود، والثانية بعنوان (بين المتنبي وابن جني نظرات في كتاب الفسر) للدكتورة مريم فريحات، والدكتورة فوزية القضاة، والدكتور حسين قزق.

إن أولى الناس بشرح شعر المتنبي – الذي ينماز بالغموض – لهو صديقه، الذي صحبه زمنًا طويلاً في حلب، أعني أبا الفتح، الذي كان يحضر عند المتنبي كثيرا من الجلسات، ويناظره في شيء من النحو، واللغة، وكان المتنبي نفسه يُعجب بأبي الفتح وبذكائه وحذقه العربية، وكان يقول: "هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس"(٢)، بل روي أن المتنبي سُئل وهو بشيراز عن معنى بيت غامض له، فقال: "لو كان صديقنا أبو الفتح حاضرًا فسره"(٣).

وقد أشار ابن جني إلى أهمية كتابه وضخامته، كما ذكر ذلك ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) بقوله: "وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير، وهو ألف ورقة ونيّف"(٤).

ويذهب الباحثان – مطمئنين – إلى وصف هذا الشرح (الفسر) بأنّه عمدة شروحات شعر المتنبي، وأولها وأوثقها، فهو مرجع رئيس لكل مَن تصدى لشرح أبيات المتنبي، وإن خالف بعضُ الشارحين ابنَ جني في بعض الآراء والأطروحات.

وتتمثّل أهمية كتاب الفسر في أن صاحبه قد صحب الشاعر، ومن ثم يُعدّ الأخذ عن الشاعر، وقراءة ديوانه عليه ميزة ينماز بها الفسر وصاحبه، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نوجز منهج ابن جني في شرح ديوان المتنبي في الآتي:

---

(١) يتيمة الدهر ١/١٣٩.

(٢) معجم الأدباء ٤/١٥٩٤.

(٣) المصدر السابق ٤/١٥٩٥.

(٤) المصدر السابق ٤/١٥٩٨.

- الشرح قائم في أساسه على المتنبي نفسه، ذلك يظهر جليًا في الحوارات التي كانت تحدث بين الشارح والشاعر، ومراجعة ابن جني للمتنبي؛ لمعرفة ما قصده، وما ذهب إليه.
- الشرح قائم على طريقة مذاهب العرب في القول، التي كان ابن جني واسع الاطلاع عليها.
- يمكن وصف منهج ابن جني في شرحه، أنَّه كان مدافعًا عن الشاعر، أكثر منه شارحًا أو ناقدًا، ومصداق ذلك أنَّ ابن جني قد استطاع أن يقنع كبار علماء العربية – آنذاك – بشاعرية الشاعر، وفطنته لكلام العرب، وعلى رأس هؤلاءِ أبو علي الفارسي، الذي كان شيخ ابن جني، وكان غيرَ راضٍ عن المتنبي وشعره(١).
- رواية ابن جني للديوان كاملاً أول توثيق لشعر المتنبي، وتعد –كذلك – أوثق المصادر التي نقلت أشعار المتنبي؛ إذ إن كثيرًا من المصادر والمراجع نقلت أبياتًا منحولة، لم يقلها المتنبي.
- غلب الجانب اللغوي (نحوًا وصرفًا) على منهج ابن جني في الشرح، ولم يوافقه في ذلك كثير من الشُّراح الذين شرحوا الديوان بعد ابن جني.

الغموض في الشعر:

قد يكون الكلام خفي الدلالة، مبهم المعاني، التي من أجلها ينشأ الكلام، وحري بالبحث وهو يدرس ظاهرة الغموض في شعر المتنبي أن يُعرّف الغموض في اللغة وفي الاصطلاح؛ فـ"الغين والميم والضاد أصل صحيح يدل على تطامُن في الشيء، وتداخل... ثم يقال غمض الشيء من العلم وغيره، فهو غامض، ودار غامضة، إذا لم تكن شارِعَةً بارِزَةً"(٢)، وتصف العرب بعضهم بالحسب الغامض؛ أي غير المعروف(٣)، وكل ما خُفي يسمى غموضًا، وكل ما لم يصل إليك واضحًا فهو غموض، والمسألة الغامضة هي التي تحتاج إلى دقة نظر.

أما الاصطلاح، فقد حاول علماء العربية ونقّادهم أن يوضحوا معنى الغموض في الكلام عامة وفي الشعر خاصة، منذ عهد سيبويه (ت ١٨٠هـ)؛ إذ قال: "وقد تقول كان زيدٌ الطويلُ منطلقًا، إذا خفت التباس الزيدين، وتقول: أسفيهًا كان زيدٌ، أم حليمًا، وأرجلًا كان زيدٌ أم صبيًا؟ تجعلها لزيد؛ لأنَّه إنَّما ينبغي لك أن تسأله عن خبرِ مَن هو معروف عنده، كما حدثته عن خبر مَن هو معروف عندك... ولا يبدأ بما يكون فيه اللبس"(٤)، فالأصل عند سيبويه أن يكون الكلام المبتدأ معروفًا؛ لكي يصح السؤال عنه، وإذا لم يكن كذلك ترتب عليه عدم فهم المسئول، وأصبح الكلام غامضًا.

ولعل أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ) من أوائل النقَّاد العرب الذين استعملوا مصطلح الغموض، فإن "كنت ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة، وحلو اللفظ وكثرة الماء

(١) يُنظر: الفسر، قسم دراسة المحقق ٣٦٢/١.
(٢) مقاييس اللغة ٣٩٥/٤.
(٣) يُنظر: العين ٣٧١/٤.
(٤) الكتاب ٤٨/١.

والرونق، فالبحتري أشعر عندك ضرورةً، وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة، التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة"(١).

فالكلام عندهم على ضربين: "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده؛ وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلاً – بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيدٌ... وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدُلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا على الكناية والاستعارة والتمثيل"(٢).

والأصل في الكلام أنه يميل إلى الوضوح والبيان، ويتحاشى غموض الألفاظ وإبهام المعاني، وقد يخرج الشعراء عن هذا الأصل، ويستعملون أنماطًا متعددة من غموض الكلام واستخدام الألفاظ قليلة الاستعمال، وغريبة المعنى، وهذه الغرابة هي التي تصبح حاجزًا بين الشاعر والمتلقي بوجه عام، وإن كان بعضهم يرى أن هذا الأمر لا يعد حاجزًا بين الشاعر وعالم اللغة أو بين الشاعر والشاعر الآخر، غير أن الشَّعر لم يوضع للشعراء أنفسهم أو لعلماء اللغة فحسب.

وقد يكون الغموض في استعمالِ الشاعرِ الألفاظ المشتركة التي تحمل أكثر من معنى، وهو ما يجعل النص حمّالاً لأوجه عديدة من الدلالة، أو في تعسف الشاعر في الصياغة، وخروجه عن العادة في القوانين اللغوية، ومخالفة الأصول التي قررها علماء اللغة، وربما يعمد الشاعر إلى ذلك عمدًا؛ كما هي الحال عند المتنبي.

وربما كان الغموض في المعاني الدقيقة، التي لا تخطر لأحد على بال، وعرض الأفكار التي لم تألفها الأذهان، لكنَّ القول البليغ هو ما كان الكلام فيه يحيط بمعناه ويفصح عن مغزاه، وكان "سليمًا من التكلف وبريئًا من التعقيد، غنيًا عن التأويل... وهذا تأويل قول الأصمعي: البليغ مَن طبّق المِفْصِل، وأغناك عن المِفَسِّر"(٣).

ومَن تنكّب عن هذا المنهج من الشعراء، فقد خالف الأصل الذي من أجله قيل الكلام، فإنّ" المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأنُ في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السَّبْك، فإنَّما الشِّعرُ صناعةٌ، وضرب من النَّسْج وجنسٌ من التصوير"(٤).

وهذا هو دأبُ النُّقادِ العرب المتقدمين، الذين يرون أنَّ الشعرَ أفضله ما كان غايةً في الظُّهور، والكلام عندهم لا يستحق لقب البلاغة "حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"(٥).

---

(١) الموازنة ١/٥.

(٢) دلائل الإعجاز، ص٢٦٢.

(٣) البيان والتبيين ١/١٠٧.

(٤) الحيوان ٣/٦٧.

(٥) البيان والتبيين ١/١١٣.

إنَّ ظاهرة الغموض، والعدول عن الوضوح من ظواهر الشعر العربي، ويعد أبو الطيب المتنبي أبرز مَن يمثلها؛ إذ إنه لم يكن يرى أنَّ للغة حدودًا، لا يجوز تعديها أو تخطِّي أسوارها، والغموض عنده عائد إلى رغبته في إظهار براعته اللغوية، بوصفه أحد حفاظ اللغة، كما كان يرى من نفسه(١).

لقد تجلى الغموض في شعر المتنبي، كما أظهره ابن جني في تفسيره من خلال أبعاد ثلاثة:

- البعد الدلالي: تأتي اللفظة في السياق اللغوي؛ لتدل على معناها الذي وضعت له، أمَّا في شعر المتنبي، فإننا نجد بعض الألفاظ تحطّم هذه الدلالة؛ وكأنَّ الشاعر لا يريد من المتلقي أنْ يفهم المعنى فهمًا فوريًا؛ وإنَّما يريد العبثَ بهذا الفهم، وبهذه الدلالة.
- البعد النحوي: هو التركيب الذي كان المتنبي يعمد إلى إعادة ترتيبه، فالضمير في الجملة العربية لا بد أنْ تكونَ له إحالة يعود إليها، وهذا ما لا نجده في أبيات المتنبي التي خالف بها هذه القاعدة، والأمر نفسه نجده في شعر المتنبي عند استعماله للتقديم والتأخير، الذي في الغالب يكون مخالفًا لقواعد الجملة العربية(٢).
- البعد المعرفي: هذا يعود إلى ثقافة الشاعر نفسه، في استخدامه رموزًا، وأساليب متعددة بتعدد الثقافات التي اطَّلع عليها.

المبحث الأول: الغموض اللفظي

يعد السبكُ في الجملة العربية من أهم مميزاتها ووضوح معناها، ولأجل ذلك ينبغي لمنشئها أن يتخيّر الألفاظ والكلمات التي سيسبكها في كلامه، وقد أشار سيبويه – رحمه الله – إلى أهمية صياغة العبارة، ودقة ألفاظها، كي يتوافق واقعها الذي تُقال فيه معها ومع سبكها؛ إذ نجده قد قسَّم الكلام على أنماط متعددة، تحت باب الاستقامة من الكلام والإحالة "فمنه مستقيم حسنٍ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب"(٣)، وقد يلجأ المتكلم أو الشاعر إلى استعمال أحد أنماط الكلام المتقدم ذكرها، فيصفه سيبويه بقوله: "وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدًا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه ذلك"(٤)، لهذا نجد أن النقاد العرب قد ذموا الغموض والتعقيد في الكلام، وهو ما نجده بإسهاب في قصائد المتنبي، فمن هذه المواضع ما ذكره ابن جني في كتابه الفِسر، عند شرحه قصيدة المتنبي التي يمتدح بها سيف الدولة، حين قدم إلى قلعة من قلاع الرّوم تسمى (سمندو)، فقال: (من الوافر)(٥).

فـــإن يُقـــدِم فقـــد زُرنا سَمَنْـــدو وإن يُحجِم فَمَوعِدُه الخَليجُ

(١) يُنظر: ملامح منهج التأويل الدلالي عند ابن جني، في الفسر الصغير، ص٣٢.
(٢) المرجع السابق، ص٤٠.
(٣) الكتاب ٢٥/١.
(٤) المصدر السابق ٢٦/١.
(٥) البيت في الفسر ٧١١/١.

قال ابن جني: "سألته وقت القراءة، فقلتُ له: هلّا أعربت (سمندو)؟ فقال: لو فعلت ذلك لم يُعرف الاسم، ولو أعرب لوجب أن يُبدل من ضمة الدّال كسرة، ويُبدل من الواو ياء، كما قالوا: أدلٍ في جمع دلو، وأحِقٍ في جمع حَقْوٍ، فكان يلزمه أن يقول: سَمَنَدي، فلا يُصرف للتأنيث، والتعريف، والعُجمة، أو إن صُرف ضرورة، أي تقول: سَمَنْديًا، ثم لا يصح الوزن حتى تُجريه مجرى المرفوع، والمجرور ضرورة، فتقول: سمندو، وكان يرتكب هذه الضرورات، ثم بعد ذلك كلّه يقع الإشكال في الكلمة، فلا تُعرف إلا بتأمل، فنكّب عن ذاك لذاك"(١).

إن استعمال المتنبي هذه اللفظة، قد أضفى عليها غموضًا لفظيًا مما حدا بابن جني – رحمه الله – إلى السكوت عن هذا الغموض، وذهب يعلل ذلك بالضرورة التي يلجأ إليها الشاعر، أيّ شاعر؛ مع أن ابن جني نفسه يقرر بأن المتنبي يرتكب الضرورات دومًا، وكأنه يقصد التعقيد اللفظي، وتعجيز غيره من الخصوم والنّقاد، زد على ذلك أن الوزن لن يختل لو أن الشاعر تحاشى لفظة (سمندو) واستعمل غيرها من الألفاظ المتمكنة في الاسمية.

وجاء –كذلك – ما يؤكد مذهب المتنبي الساعي – حثيثًا – إلى تعقيد اللفظ وغموضه، عند مدحه سيف الدولة، لما أراد أن يغزو (خرشنة)، فمنعه الشّتاء من ذلك، فقال المتنبي: (من الطويل)(٢).

وحمدَانُ حمدُونٌ وحَمدُونُ حارثٌ وحارثُ لقمانٌ ولقمانُ راشدُ

قال ابن جني: "وجعل النون من (حمدون) حرف الإعراب، فأجرى عليها الإعراب، وكان الأشبه، إذا جعل النون حرف الإعراب أن يضم الحاء ليصير على وزن فُعلول؛ إلا أنه جائز إذا حمله على زيتون، وتَرَكَ صرفَ حمدون وحارثَ، ضرورةً، وقد أجازه الكوفيون ونحن نأباه"(٣).

ويبدو للباحثين أن ابن جني – رحمه الله – قد وقع بين الأمرّين؛ إذ إنه لا يوافق الكوفيين في إجازة صرف (حمدون)، ولا يريد أن يخطئ المتنبي في هذا المسلك الذي سلكه، فقد التمس لصديقه العذر مع إشارته إلى عدم موافقته مذهب الكوفيين، وهذا هو دأبه – رحمه الله – إذ نجده يستحسن استعمال المتنبي الضرورات الشعرية، وإن كانت في عرف النحويين والنقاد، غير مستحبة، وتُعد من التعقيد، وعدم الوضوح، فحين هنأ المتنبي سيف الدولة بالعيد في سنة ٣٤٢هـ، قال: (من الطويل)(٤).

وأَنْ يُكـــذِبَ الإرجـــافَ عَنـــه بِضِـــدِّه ويُمســـي بمـــا تَنـــوي أعادِيـــه أسَـــعْدَا

قال أبو الفتح: "وكان ينبغي أن يفتح (ياءَ) يُمسي؛ لأنَّه منصوب، ولكنه سكّن (الياء) وهو من أحسن الضرورات"(٥).

(١) المصدر السابق ٧١٢/١.
(٢) البيت في الفسر ٨١٢/١.
(٣) الفسر ٨١٣/١.
(٤) البيت في الفسر ٨١٨/١.
(٥) نفسه ٨١٨/١.

ويرى الباحثان أنَّ أبا الفتح كثيرًا ما يتسمّح مع الشاعر، ويلتمّس له الأعذار، بل كان يتتبع الشواهد اللغوية في الشعر والنثر على السواء، ليثبت – ما استطاع إلى ذلك سبيلاً – صحة مذهب المتنبي فيما يذهب إليه من مخالفة الشائع، وارتكاب الضرورات، واستعمال التعقيد في اللفظ.

ومما خالف به المتنبي الشائع بين الشعراء، وعُدّ بذلك الاستعمال معاظلاً في كلامه ومعقِّدًا ألفاظه، قوله في قصيدة يعزي بها سيف الدولة بوفاة أحد عبيده: (من الطويل)(١)

تَسَـــلَّ بفكـــرٍ في أَبَيْـــكَ فإنَّمـــا بكيْـــتَ فكـــان الضـــحكُ بعـــد قَريـــبِ

روى غير واحد من العلماء الذين كتبوا قصائد المتنبي، وجمعوها بكسر الباء في (أَبِيك)(٢)، غير أن ابن جني قد روى في فسره اللفظة بفتح الباء (أَبَيك)، ورواية ابن جني أضبط وأدق –كما يزعم الباحثان – لأنّه أقرب الرواة إلى الشاعر، ولاسيما أنّه يقرأ عليه ديوانه.

وقد خرّج أبو الفتح هذا الاستعمال المخالف للمشهور عن كلام العرب بقوله: "أَبَيك يريد أبويك، وهي لغة معروفة، تقول العرب أبٌ وأبانَ وأبِينَ وأبون وأبَيْنَ"(٣).

ومع أن الشاعر قد وقع في المخالفة الواضحة إلا أنّ الشارح ذهب يتبع لغات العرب في هذه المسألة؛ ليثبت من ذلك كله أن المتنبي لم يكن مخالفًا العرب بذلك الاستعمال، فقال: "ومن أبيات الكتاب): (من المتقارب)(٤).

فلمّـــــا تبـــــيّنَ أصـــــواتَنا بَكَـــــينَ وفـــــدَّيننَا بالأبِينَـــــا

ومن أبياته: (من الوافر)(٥)

وكَـــانَ لنَـــا فَـــزارَةُ عَـــمَّ سَـــوءٍ وكنـــتُ لـــه كشَـــرّ بـــنِي الأَخِينَـــا

وأخذتُ عن أبي بكر محمد بن الحسن عن ثعلب، يقال: هذا أبوك، وهذا أباك وهذا أبُك، ثلاث لغات، فمن قال: هذا أبُك، قال: هذان أباك، أب وأبانِ، ويجوز فيه أبوان، ومن قال: أباك وأبوك، فتثنيتهما واحد: أبوان"(٦).

إنَّ هذا الاستطراد الذي استطرد به ابن جني ليزيد من قيمة كتابه الفسر، لما يحمله من شواهد لغوية ونحوية، ولما يُثبت فيه من لغات وردت عن العرب، زد على ذلك أن ابن جني لم يكتف بما ذكرناه آنفًا؛ لكي يؤكد صحة

(١) البيت في الفسر ١/١٩٩.

(٢) يُنظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي، ص٢٣٦.

(٣) الفسر ١/٢٠٠.

(٤) البيت لغيلان بن سلمة الثقفي، وهو من شواهد الكتاب ٣/٤٠٦، والخصائص ١/٣٤٧.

(٥) البيت مجهول القائل، وهو من شواهد المقتضب ٢/١٧٤، وخزانة الأدب ٤/٤٧٨.

(٦) الفسر ١/٢٠١.

استعمال المتنبي إحدى لغات العرب في الأسماء الستة، وإن كانت هذه اللغة قليلة ونادرة، فقال مستأنفًا الحديث: وأنشدني أبو عليٍّ: (من الطويل)(١).

تَقـــولُ ابنـــتِي لمـــا رَأَتْـــنِي شَـــاحِبًا كَأَنَّـــكَ فِينَـــا يَا أَبَاهُ غَرِيـــبُ

فهذا على قول مَن قال: هذا أباك، ألا ترى أنه أدخل (الهاء) على (أبا)"(٢).

أورد المتنبي إشكالاً لفظيا عند مدحه عضد الدولة أبا شجاع، فقال: (من الكامل)(٣)

وإلى حَصَـــى أَرضٍ أَقـــامَ بِهـــا بالنَّـــاسِ مِـــن تَقبِيلـــهِ يَلَـــلُ

وبدأ ابن جني الحديث في هذا البيت بتفسير اللفظ الغامض، قبل تفسير معنى البيت ودلالته، فقال: "(اليلل) إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم، يقال: رجل أيلُّ وامرأة يلاّء، ورجال ونساء يُلٌّ، وفيهم يَلَلٌ، وقد أبدلوا الياء همزةً، فقالوا: (ألل) يقول: وكأن الناس لكثرة ما يقبّلون حصى الأرض، التي هو بها بين يديه، قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى؛ كما تنعطف الأسنان على باطن الفم، وهذا من اختراعات المتنبي"(٤).

ويرى الباحثان أن ابن جني ما كان له أن يأتي بهذا التأويل، الذي يضطر فيه إلى الإسهاب في شرح اللفظة، لو أن المتنبي لم يأتِ بهذا الإشكال، في استعمال اللفظ الغريب النادر، الذي لا يكاد يُعرف، ويُظهر هذا التفسير حرص ابن جني على بيان اللفظ الغريب؛ إذ لا يمكن فهم البيت ومقصود الشاعر إلا بعد الكشف عن غامض اللفظ وإشكاله، زد على ذلك أن ابن جني لم يكتفِ بتوضيح معنى البيت من خلال توضيح لفظ (اليلل)، بل ذهب يتأوَّل المعنى بقوله: "ويجوز أيضًا أن يكون معناه: ويُشتاق إلى حصى أرضٍ يكون بها، وقد يلَّ الناس؛ لكثرة تقبيلهم إياه، فحدث في أسنانهم يَلَلٌ لاعتيادهم تقبيله"(٥).

وما يقوي هذا التفسير الأخير، الذي أورده ابن جني هو قول المتنبي نفسه، في البيت الذي يتبعه: (من الكامل)(٦).

إنْ لَمْ تَخَالِطْـــــــــه ضَـــــــــواحِكُهم فَلَمَـــــنْ تُصـــــانُ وتُـــــدخَرُ القُبَـــــلُ

قال الزوزني: "المعنى هو الأخير، وليس الأول بشيء، معناه: ويشتاق إلى حصى أرض قد يلَّ الناس بها لكثرة التقبيل"(٧)، في حين أنكر ذلك الواحدي، فقال: "اليلل قصر الأسنان، ... وأخطأ ابن جني في تفسير اليلل، وفي معنى البيت"(٨).

(١) البيت لأبي الحدرجان، في الخصائص ٣٤٠/١.
(٢) الفسر ٢٠١/١.
(٣) البيت في الفسر ٢٧٦/٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) الفسر ٢٧٦/٣.
(٦) المصدر السابق.
(٧) قشر الفسر ٢٨٥/٢.
(٨) شرح ديوان المتنبي، للواحدي، ص٣٨٧.

إن هذا الاختلاف بين الشُّراح وتخطئة بعضهم بعضًا هو نتيجة الاستعمال غير المألوف للفظة (الليل) التي قال عنها الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): "الليل: إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم، ولم أسمعه في غير شعره"(١).

ومهما ارتكب المتنبي من مخالفة الشائع، واستعماله الغامض من اللفظ، فإن ابن جني يتسمّح معه في القول، ولا يأخذ عليه، فعند رثاء المتنبي والدة سيف الدولة قال: (من الوافر)(٢).

رِوَاقُ العِـــــزِّ بَعـــــدَكِ مُسْـــــبَطِرٌّ ومُلْـــــكُ عَلـــــيٍّ ابنِـــــكِ فِي كَمَـــــالِ

قال ابن جني: "(مُسْبَطِرٌّ) ممتد، ومنه قيل: نبت مسبطر: إذا امتد على الأرض، وأما (سَبطٌ) فثلاثي، وهو بمعنى (سبطر)، وليس من لفظه، وهذا يحذقه أهل صناعة التصريف"(٣).

فلا يخفى على القارئ ما تحمله هذه اللفظة من غموض، وعدم أُلفةٍ في الاستعمال، مما حدا بأبي بكر الشعراني – وهو أحد خدم المتنبي – إلى إنكار رواية البيت بلفظ (مسبطر)، وزعم أن الرواية الصحيحة (مستظلٌّ)، وأن إقحام لفظة (مسبطر) من فعلةِ خصوم المتنبي، لأمر ما(٤).

ويبقى الباحثان مشدوهين بين رواية أبي بكر الشعراني خادم الشاعر، ورواية أبي الفتح ابن جني، صديق الشاعر، غير أن ما تطمئن إليه نفسه، هو رواية ابن جني، وإن كان ابن جني لم يُبدِ اعتراضًا على الاستعمال الغامض، أو كما وصفه الثعالبي بقوله: "ولعل لفظة (الاسبطرار) في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الضعيف المتبَّر)(٥).

ولم يتوقف الأمر على إنكار الثعالبي، بل نجد ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) ينقد هذه اللفظة، ويقول: "إن أشد ما هجن هذه اللفظة، وجعلها مقام قصيدة هجاء، أنه قرنها بفوقك؛ فجاء عملاً تامًا لم يبقَ فيه إلا الإفضاء"(٦).

ويذهب الخوارزمي (ت٣٨٣هـ) إلى أبعد من ذلك –كما نقل عنه الثعالبي– فيقول: "لو عَزَّاني إنسان عن حرمةٍ لي بمثل هذا؛ لألحقته بها، وضربت عنقه على قبرها"(٧).

يظهر من النصوص السابقة أن ابن جني لم يتجاوز في شرحه البيت المعنى المعجمي للفظة (مسبطر)، وأن بقية شراح الديوان لم يوافقوه على هذا التفسير، وذهبوا إلى مناقشة إشكال اللفظة نفسها، وعدم استحسانها، ولاسيما أنّ الموقف موقف عزاء ورثاء، ويذهب الباحثان إلى ما ذهب إليه جمهور النقاد.

(١) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، ص٧٨.

(٢) البيت في الفسر ٢/٦٧٠.

(٣) المصدر السابق.

(٤) يُنظر: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٧٧.

(٥) يتيمة الدهر ١/٢٠٩، ويُنظر: الكشف عن مساوئ المتنبي، ص٤٦.

(٦) العمدة ٢/١٥٥.

(٧) أبو الطيب وما له وما عليه، ص٨٨.

ولم نر نقدًا أو تفسيرًا من ابن جني للمعاظلة التي وقعت في قصيدة المتنبي عند اعتذاره لسيف الدولة، مما قاله في ميميته التي قال فيها: (من البسيط)[١].

أقِلْ أنِلْ أقطعْ احمِلْ عَلِّ سَل أعِدْ زِد هَشَّ بشَّ تَفَضَّلْ أدنِ سُرَّ صِلِ

بل راح يشرح ألفاظ هذه الأوامر، ويحكي ما حصل بعد ذلك؛ فقال: "فوقَّع سيف الدولة تحت (أقل): قد أقلناك، وتحت (أنل): يُحملُ إليه من الدراهم كذا وكذا، وتحت (أقطع): قد أقطعناك الضيعة الفلانية، ضيعة بباب حلب... وحكي لي بعض إخواننا أن المعْقِلي، وهو شيخ كان بحضرته ظريفٌ قال له، وقد حسد المتنبي على ما أمر له به: يا مولاي، قد فعلت به كل شيء، فهّلا قلت له، لِما قال: هَش بش: هيء هِيء – يحكي الضحك– فضحك سيف الدولة وقال له: أذهب يا ملعون"[٢].

إن الذي تجاوز عنه ابن جني ولم يخض فيه، قد عابه غير واحد من النقاد، فهذه "الألفاظ جاءت على صيغة واحدة، وهي صيغة الأمر؛ كأنه قال: أفعل أفعل... هكذا إلى آخر البيت، وهذا تكرير للصيغة، وإن لم يكن تكريرًا للحروف، إلا أنه أخوه ولا أقول ابن عمه"[٣].

وربما تعلل ابن جني ومن وافقه من النقاد بما ورد من أسلوب مشابه لهذا الأسلوب في قوله تعالى: "فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ" [التوبة/ آية ٥].

فيقال لهم إن أسلوب الآية ليس كما هي الحال في البيت، فالآية لم تحمل كثيرًا من الأوامر، والآية –كذلك– كانت أوامرها معطوفات بالواو؛ وإنما العبرة في ذلك بالنظر إلى القلة والكثرة فإن تتابع الأوامر في بيت المتنبي يعد تعاظلاً في الكلام، لكثرتها وثقلها على اللسان[٤]، وإلى جانب ما فيها من الثقل، فقد "تضمن سياقها تركيبًا وتداخلاً مكروهًا"[٥].

وهذه "الجملة ما استولت عليها عقادة التركيب إلا لكون كل كلمة منها فعل أمر، ولم يأتِ في الجملة القصيرة على هذه الصفة شيء من فصيح الكلام"[٦].

وعلة هذا التعقيد في الكلام، وتفسيره يعود إلى ما أولع به أبو الطيب من الإغراب في اللفظ والإبهام في المعنى، ومما لا شك فيه أن مِن عيوب فصاحة الكلام "مخالفة العُرف والإتيان بما ليس في العادة والطبع"[٧].

(١) البيت في الفسر ٢/٧٨٢.

(٢) المصدر السابق ٢/٧٨٤-٧٨٥.

(٣) المثل السائر ١/٣١٢.

(٤) يُنظر: المثل السائر ١/٣١٢.

(٥) الطراز للأسرار البلاغة ٣/٣١.

(٦) خزانة الأدب ١/٢٤٧.

(٧) نقد الشعر، ص٨٤، ويُنظر: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٠٨.

وقد نص البلاغيون على أن الكلام يكون فصيحًا إذا خلا من عيوب ستة: تنافر الكلمات، وضعف التأليف، والتعقيد اللفظي، والتعقيد المعنوي، وكثرة التكرار، وهو محل الشاهد، وتتابع الإضافة[١].

وعلى جملة ما مر بنا لم نلحظ شيئًا من النقد قاله ابن جني عند شرحه هذا البيت، ويزعم الباحثان أن ابن جني – رحمه الله –كان متساهلاً مع صديقه، ولم يكن يغلظ عليه في القول.

ومن المواضع التي نجد فيها غموضًا في استعمال اللفظ، ما جاء في قول المتنبي عندما تشكى من دُمَّلٍ له: (من الوافر)[٢].

أَذَا دَاءٌ هَفَــــــا بُقُــــــراطُ عنــــــهُ فلَــــمْ يوجــــدْ لصَــــاحِبِهِ ضَــــرِيبُ

فنرى أن في البيت إشكالين اثنين، أما أحدهما ففي قوله (أذا)؛ إذ اضطربت الرواية فيه بين شراح الديوان، وقد ذكر الدكتور رضا رجب أن العكبري ذكر البيت برواية (أذا) بفتح الهمزة، وذكر للكلمة بعدها روايتين، فيصبح للهمزة عندئذٍ معنيان،... والروايتان هما: "أذا داءٌ) فالهمزة للاستفهام، و(داءٌ) مرفوع، و(أذا داءٍ) فالهمزة للنداء، و(داءٍ) مكسور، وذكر ابن المستوفي أن التبريزي قال: قرأت على أبي العلاء (إذا داء) بكسر الهمزة، فرد عليَّ، وقال: (أذا داء)؟ بفتح الهمزة لا غير"[٣].

ومع ذلك روى أبو الفتح البيت بكسر همزة (إذا) الشرطية، وأكد ذلك بقوله: "جواب (إذا) فلم يوجد لصاحبه شبيهٌ، كذا قال لي وقت القراءة عليه"[٤]، وهذا الشرط قد أنكره الواحدي بقوله: "ولم يعرف ابن جني معنى هذا البيت، ولا ابن فروجة أيضًا، فإنه تخبّط في تفسير هذا البيت في كتابيه جميعًا"[٥].

ومهما يكن من أمر فإن الباحثين يذهبان إلى ترجيح رواية ابن جني، ولا سيما وهو يقول: "كذا قال لي وقت القراءة عليه"[٦]، ولكن يبقى الغموض قائمًا؛ لأنه برواية الشرط لا يظهر معنى للبيت ذو إقناع، ولاسيما والواحدي قد فسّر البيت بشيء من الإقناع، فقال عند تخطئته ابنَ جني في شرح البيت: "لأنَّه لا يعلم أيش الدواء الذي غفل عنه بقراط، فلم يذكره في طبّه، وذلك الداء قد ذكره أبو الطيب، وهو أنه يمل أن يقيم يومًا من غير طعان، ولا صب دم، وإن الحشايا تمرضه، وأن شفا الحروب، وقد ذكر أنّه ليس به علةٌ غير حب الحرب، وهذا ما لم يذكره بقراط؛ لأنّه ليس في طِبّه أن مَن مرض مِن ترك الحرب بأيش يداوى، فقال أبو الطيب صاحب هذا الداء ليس له ضريب؛ لأنّه لا يُعرف أحد يمرض لترك الحرب"[٧].

---

(١) يُنظر: جواهر البلاغة، ص٣٥.

(٢) البيت في الفسر ٢٥٩/١.

(٣) المصدر السابق، هامش ٢٥٩/١.

(٤) المصدر السابق ٢٦٠/١.

(٥) شرح ديوان المتنبي، للواحدي، ص٢٦٢

(٦) الفسر ٢٦٠/١.

(٧) شرح ديوان المتنبي، للواحدي، ص٢٦٢.

وإذا انتهينا من حل الإشكال اللفظي الأول، فإننا نجد إشكالاً آخر أورده المتنبي، وذلك باستعماله الحرف (لمْ) الذي يُستعمل في لغة العرب، لمعنى النفي والجزم، وقلب زمن الفعل المضارع، إلا أنه في هذا السياق لا يدل على شيء من ذلك، وهو ما دفع ابن جني إلى تفسير هذا الغموض بقوله: "واستعمل (لم) في موضع (ليس) بمضارعتها إياها في النفي"(١)، زد على ذلك أن أبا الفتح ذهب إلى توكيد طريقة المتنبي، مُبرهنًا على ذلك بقول الأعشى(٢): (من المتقارب)

أَجِـــــدَّكَ لمْ تَغـــــتَمِض ليلَـــــةً فَتَرْقُـــــدَها مَـــــعَ رُقَّادِهَـــــا

"فاستعمل (لم) في موضع (ما)... فهذا كله من كلام العرب، وكان الوجه أن ينصب (داءً) بفعل مضمر؛ لأنّ (إذا) تطلب الفعل، وشبه منصوب، وهو كقولك (عنه)، فيجري مجرى قولك: إذا زيدًا مررت به فأكرمه،... كأنّه قال أيضًا: إذا أهمل أو أغفل بقراط داءً، ثم فسره: (هفا عنه)، وإذا رفعه فبفعل مضمر أيضًا، كأنّه قال: إذا أعضل داء وعظُمَ ثم فسره بقوله: هفا بقراط عنه"(٣).

ويرى الباحثان أنّ ابن جني قد سعى – جاهدًا – إلى تفسير الغموض اللفظي الذي اكتنف البيت؛ ليزيل المعاظلة التي وردت على لسان المتنبي، غير أنَّ عدم التأويل مقدم على التأويل، وتفسير ابن جني في هذا الموضع كثرت فيه التأويلات والتشبيهات، التي عقدها أبو الفتح لشرح البيت، زد على ذلك أنّ الشعر الجيد عند العرب ما خلا من العيوب والمآخذ، ولم يكتنفه الغموض والإبهام، وأجزل الشعر "ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغًا واحدًا، وسبك سبكًا واحدًا، فهو يجري على اللسان، كما يجري الدهان"(٤).

ومما ورد من الإشكال اللفظي، الذي يحمل إبهامًا للمعنى، ما ذكره المتنبي عندما أراد سيف الدولة غزو (خرشنة) ومنعه من ذلك فصل الشتاء وتساقط الثلوج، فقال: (من الطويل)(٥).

وتُســـــعِدُنِي في غَمـــــرَةٍ بعـــــدَ غَمـــــرَةٍ سَـــــبُوحٌ لَهَـــــا مِنهَـــــا عَلَيهَـــــا شَـــــواهِدُ

فالغموض يظهر هنا في استعمال المتنبي شبه الجملة من الجار والمجرور ثلاث مرات متتاليات في موضع واحد (لها منها عليها)، وقد عيب عليه ذلك، كون الكلام يستقيم إذا فصل بين شبه الجملة والأخرى بفاصل – لا يكون شبه جملة –؛ كأن يقول: أقمت به شاهدًا عليه، ولم يُعرف شاعر يبحث عن الغموض وتعقيد الكلام، حتى

(١) الفسر ١/٢٦٠.
(٢) البيت في ديوانه، ص٦٩.
(٣) الفسر ١/٢٦٠-٢٦١.
(٤) البيان والتبيين ١/٧٥.
(٥) البيت في الفسر ١/٧٩٥.

يأتي به، وهو غير مكترث لذلك، غير المتنبي[١]، وقد أراد المتنبي بهذا البيت أن يصف فرسًا كريمة سريعة؛ كأنّها تسبح في الصحراء، لها من حسن خلقها شواهد، أولها شواهد من ذلك على كرمها[٢].

وقد وصف غير واحد من النقاد هذا الغموض، الذي جاء به المتنبي بالفعل الذي ليس له مسوغ، وأن روابط الجملة إذا تكررت فهذا "العيب الذي لا يتوجه عذر فيه"[٣]، بل هو من الثقيل، الذي قد يجعل الإنسان يتعثر في أثناء النطق به، وكأني بابن جني وهو لم يستسغ هذا الأسلوب حتى وصفه قائلاً: "وقوله: (لها منها عليها شواهد)؛ كأنه من كلام المتصوفة"[٤].

إن هذا الوصف الذي وصفه ابن جني لطريقة كلام المتنبي هو ما جعل بعض النقاد يصنف المتنبي بالمتتبع طرائق الصوفية "وهذه الصوفية يمكن أن يلحظ تأثيرها في شعر المتنبي من جهة أخرى، غير جهة الرمزية والأفكار والمعاني؛ إذ نرى في شعره تأثرًا آخر لا يأتي من أنّه يستعير أفكار المتصوفة ومعانيهم، إنما يأتي من استعارته لطريقتهم في التعبير"[٥].

وإنْ كنّا هنا ليس بصدد إثبات صوفية المتنبي واعتقاده، لكن أسلوبه هذا هو ما جعل بعض النقاد يصفه كأنّه رقية للملدوغ من العقرب[٦].

ويُلحق بالغموض وتعقيد اللفظ ما ورد في قصيدة للمتنبي قالها في صباه، ولاسيما البيت الذي قال فيه: (من الطويل)[٧].

فقَلقَلتُ بالهَمِّ الذي قَلقَلَ الحَشَا قَلَاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلَاقِلُ

فلا يخفى على ناقد ما في البيت من تعقيد لفظي بتكرار (القلقلة) في صدر البيت وعجزه، الذي جعل ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) يستقبحه بقوله: "فقد اتفق له أن كرّر في البيت الأول لفظة مكررة الحروف، فجمع القبح بأسره، في صيغة اللفظة نفسها، ثم في إعادتها وتكرارها،... واتبع ذلك بغثاثة في البيت الثاني... فلست تجد ما يزيد على هذين البيتين في القبح"[٨].

(١) يُنظر: كتاب الصناعتين، ص١٦٠.
(٢) يُنظر: قشر الفسر ١٠٩/١.
(٣) سر الفصاحة، ص١٠٥.
(٤) الفسر ٧٩٥/١.
(٥) الفن ومذاهبه، ص٣١٨.
(٦) يُنظر: تاريخ النقد الأدبي، ص٢٧٣.
(٧) البيت في الفسر ٧٨/٣.
(٨) سر الفصاحة، ص١٠٤.

وقد حاول ابن جني أن يتلطّف في شرح هذا التعقيد اللفظي، فقال: "القلاقل جمع قُلْقُل وهي الناقة الخفيفة و(هُنَّ) من (كلهن) تعود على العيس، لا القلاقل؛ كأنه يقول: قلاقل القلاقل، كما نقول: سراع السّراع، وخفاف الخفاف، وكقولك: أعقل العقلاء"(١).

ولم يعرض إلى ما في تكرار (القاف) من رعونة وثقل، وذهب إلى الحديث في الضمير في لفظة (كلهُنَّ) واصفًا إياه بأنّه "أبلغ في الوصف من أن يكون (هُنَّ) من (كلهن) عائدًا على (القلاقل)، فتأمله يصحُّ لك إن شاء الله"(٢).

لقد ذهب غير واحد من النقاد إلى الأخذ على المتنبي في هذا التكرير وإعادة اللفظة بعينها في السياق نفسه، وهو وإن كان مسبوقًا في ذلك ومتابعًا الأعشى حين (شلشل)، ومسلمًا حين (سلسل) إلا أنّ هذا الأسلوب قد وُصف بالعي والركاكة (٣).

ومازال أبو الطيب يعمد إلى استعمال غريب اللفظ ونادره، ومن ذلك البيت الذي في قصيدته التي رثى بها أبا الهيجاء عبد الله بن سيف الدولة، فقال: (من الطويل)(٤).

أيَفطِمُـــــهُ التُّـــــورَابُ قبـــــلَ فِطامِـــــهِ ويَأكُلُـــــهُ قبـــــلَ البُلـــــوغِ إلى الأَكـــــلِ؟

فلفظة (التوراب) التي تُعد من الصيغ النادرة التي جاءت على وزن (فوعال)(٥)، وعدها بعضهم من المعرّب والدخيل على لسان العرب مثلها في ذلك مثل (دولاب)(٦)، وجعلها بعضهم من الألفاظ الشاذة(٧).

ومع ذلك كله عدها ابن جني لغة من لغات العرب قائلاً: "هو التراب والتوراب والتيراب والتُرباء على (فُعلاء) كله بمعنىً، وجمع تراب أتربة وتُربان، حكى ذلك كله أحمد بن يحيى وأبو العباس الأحول"(٨).

ويبدو أن الشَّاعر "كان يعلم أن بعض اللهجات القديمة استخدمت كلمة (التوراب) بدلاً من كلمة التراب، ولذا استخدم هذه الكلمة النادرة، ولهذا كله فقد اهتم به اللغويون، ولا نعلم شاعرًا عربيًا في عصر المتنبي أو بعد عصره أثار انتباه اللغويين مثله"(٩).

---

(١) الفسر ٣/٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يُنظر: العمدة ١/٣٣٥، والمثل السائر ٣/٢٥.

(٤) البيت في الفسر ٢/٧٣٧.

(٥) يُنظر: الممتع الكبير في التصريف، ص٧٣.

(٦) يُنظر: معجم ديوان الأدب ٢/٢٥٩.

(٧) يُنظر: سر الفصاحة، ص٢٨١.

(٨) الفسر ٢/٧٣٨.

(٩) علم اللغة العربية، ص٢٦٠.

ولعل ما استعمله المتنبي هذا يتوافق وما تقرره قوانين علم اللغة، من أن إشباع الضمة يولّد عنها صوتًا مكتملاً هو الواو.

ومن عجائب المتنبي استعماله الجمع الصحيح في الموضع غير الصحيح، وذلك ما جاء في قصيدته التي يصف فيها سيف الدولة وأفعاله؛ إذ قال: (من الطويل)[١].

إذا كَـــانَ بَعـــضُ النَّـــاسِ سَـــيفًا لِدَولَـــةٍ فَفَـــي النَّـــاسِ بُوقَـــاتٌ لَهَـــا وطُبُـــولُ

والعجب يكمن في عدول الشاعر عن استعمال الجمع المكسَّر للفظة (بوق) التي تُجمع على (أبواق) ومن حيث اللغة الشعرية يرى بعض النقّاد أن "(بوقات وطبول) لفظات مستقبحات، تمجها الأسماع وتنفر عنها الطّباع"[٢].

فالقياس المطرد عندهم أن يُجمع اسم الجنس المذكر جمعًا مكسّرًا، وشذ عن ذلك بعض الكلمات التي حفظها علماء الصرف، ولم يقيسوا عليها، ومع ذلك ليست لفظة (بوق) من هذه الكلمات المحفوظة[٣].

غير أن كثرة اطلاع المتنبي على كلام العرب، وكثرة حبه لمخالفة القياس جعله يستعملها، بل إنّه سُئل عن هذا الجمع، فقال: "هذا اسم مولّد لم يُسمع واحده إلا هكذا، ولا جمعه بغير التاء إنما هو مثل حمّام وحمامات وساباط وساباطات، وسائر ما جمعوه من المذكر بالتاء"[٤]، وهذا تخريج عجيب من أبي الطيب، غير أن ما يهمنا هنا من الأقوال هو تفسير ابن جني لهذا الاستعمال وتخريجه هذا الإشكال؛ إذ قال: "عاب مَن لا خبرة له بكلام العرب جمعه (بوقًا) بالألف والتاء وقوله هذا جائز غيرُ معيب، وقد جاءت له نظائر كثيرة في كلام العرب، فقالوا سِبَحْل وسِبَحْلات وسِبَطْر سِبَطْرات... وأجمع أهل العربية قاطبة، لا أعرف بينهم خلافًا أنّهم يقولون في تحقير (قَنَاديل) (قُنيدلات)، وفي (مفتاح) (مُفيتيحات)... فحقروا وجمعوا واحدها بالألف والتاء، وإن كانت كلها مذكّرة، وجعلوا ذلك قياسًا مطردًا، يقولونه في جمع ما لا يعقل من المذكر، الذي لا يوجد له مثال لقِلّته"[٥]، واستطرد ابن جنّي في دفاعه عن المتنبي ذاكرًا الشواهد الشعرية التي تثبت صحة استعمال لفظة (بوقات) على الرغم من إقراره بأنّها مخالفة لقياسه، ثمّ قال: "وإنما كان كُلُّه في المذكر؛ لأنّه إذا جُمِع فهو جماعة، فدخله التأنيث"[٦].

(١) البيت في الفسر ٨٢٧/٢.

(٢) تنبيه الأديب، ص١٨٦.

(٣) يُنظر: شرح درّة الغواص، ص٦٧.

(٤) الوساطة، ص٤٤٣.

(٥) الفسر ٨٢٨/٢.

(٦) المصدر السابق ٨٢٩/٢.

وهذا – أيضًا– تخريج لطيف وبديع من عالم له باع طويل في لغة العرب، وله كعب عال في البحث عن خصائصها؛ فقد أثبت أن هذه اللفظة (البوق) قد وردت في كلام العرب، وليست هي مولّدة كما زعم المتنبي، فقال: "وجاء البوق في كلام العرب، أنشد الأصمعي: (من الرجز)[1].

زمْـــــرَ النصـــــارى زَمَـــــرَتْ بالبُـــــوق

ومنه سميت الدّاهية: البائقة، وقالوا: انباق عليهم الدهّر، أي: "هجمت عليهم الدّاهية كما يخرج الصوت"[2].

فلا يدري الباحثان بِمَن يعجبان! أيعجبان من حذق الشاعر وفطنته؟ أم يعجبان من تخريجات ابن جني؟ فأمّا الشّاعر، فقد ذهب إلى استعمال الجمع المخالف للقياس، وكأنّه بذلك يمعن في هجو هؤلاء؛ إذ إنّه هجاهم ثلاث مرات بكلمة واحدة، فالأولى تتضح من تشبيههم بالأبواق، والثانية تكمن في استعمال غير القياس، وكأنّه يستكثر عليهم القياس المتبع، والثالثة تتجلى في رؤيته لهم كأنّهم إناث، فلا يستحقون إلا جمع التأنيث. وأمّا ابن جنّي، فقد أبدع في تخريجاته وأجاد، كُلّ ذلك دفاعًا عن صديقه، وشاعره المحبب إليه.

ومن غرائب المتنبي في اللفظ استعماله لفظة (الابتشاك)، التي وردت في قصيدته التي ودّع بها أبا شجاع عضد الدولة، وهي من أواخر قصائده، إذ قال: (من الوافر)[3].

ومَـــــا أَرضَـــــى لِمُقْلَتِـــــهِ بِحُلْـــــمٍ إِذَا انْتَبَهَـــــتْ تَوَهَّمَـــــهُ ابْتِشَـــــاكا

إن استعمال المتنبي لفظة (ابتشاكًا) يعد استعمالاً نادرًا؛ إذ لم ترد هذه اللفظة عند شاعر متقدم عليه، ولم ترد –كذلك – عند شاعر متأخر عنه – فيما يزعم الباحثان بحسب اطلاعهما وقراءتهما – والمعنى المراد أنّه لا يرضى أن يرى الممدوح في النوم ما المتنبي عليه من الشّرف؛ لأنّه إذا أفاق من نومه توهمه كذبًا، وعدّ ذلك من أضغاث الأحلام والأماني الباطلة[4].

إن هذه الغرابة في اللفظة هي ما جعلت أبا الفتح يسهب في شرحها، وتفسيرها، ويضطر إلى استحضار كثير من المفردات، كي يوضح معناها، حتى بلغت هذه المفردات المترادفة إحدى عشرة لفظة، فقال: "الابتشاك: الكَذِبُ، يقال ابتَشَكَ القول وخَرَقَه، واختَلَقَه، وزَرَفَ فيه، وأخبرنا محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى قال: يقال خَلَقَ، واختَلَقَ، وخَرَقَ واخترَقَ، إذا عَمِل الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت/ آية ١٧]، ويقال أيضًا: وَلَعَ يَلَعُ ومَانَ يَمِينُ وتَسَدَّجَ وتَخَلّقَ، وزَغَفَ، ولَبَكَ، وسَرَجَ وخَدَبَ كُلُّه: كَذَبَ"[5].

(١) البيت بلا نسبة في لسان العرب ٣١/١٠.

(٢) الفسر ٨٣٠/٢.

(٣) البيت في الفسر ٦٤٨/٢.

(٤) ينظر: شرح معاني المتنبي، ١٨٣/٢.

(٥) الفسر ٦٤٨/٢.

إن استعمال المتنبي هذه اللفظة قد زاد البيت نفورًا وعدم قبول؛ لأنّها قد وردت في قافية البيت، ولو أنّها جاءت في الحشو لربما استترت قليلاً، ولم يتبين عَورَها، والشعراء ومعهم النُقّاد يرون أنّ القافية عنوان البيت، فإذا كان العنوان غيرَ واضح، فمن باب أولى أن يستغلق بقية البيت(١).

ومما أورده ابن جني من استعمالات المتنبي الغامضة ما ذكره في شرحه بيتًا من قصيدة يقول فيها: (من الطويل)(٢).

وقَـــد يَتَـــزيَّا بِالهَـــوَى غَـــيرُ أَهلِـــهِ ويَستَصـــحِبُ الإنســـانُ مَـــن لا يُلائمُـــه

وقد استنكر ابن جني لفظة (يتزيّا) قائلاً: "وكلّمته أيضًا في (يتزيّا)، فقلت له: هل تعرفه في شعر قديم أو كتاب من كتب اللغة؟ فقال: لا، فقلت له: كيف استعملته وأقدمت عليه؟ قال: لأنّه قد جرت به عادة الاستعمال. فقلت له: أترضى بشيء تورِده باستعمال العامة ومَن لا حُجَّةَ في قوله؟ فقال: فما عندك فيه؟ فقلت قياسه (يتزوَّى)، فقال من أين لك؟ فقلت: لأنّه من الزِّيّ، والزِّيُّ ينبغي أن تكون عينه واوًا، وأصله (زِوْيٌ)، فقلبت الواوُ ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها؛ ولأنّها أيضًا ساكنة قبل الياء، ويدل أيضًا على أنّ عين (الزِّيّ) واوٌ أنه لا يقال: لفلان زِيَّ، إذا كان له شيء واحد مستحسن حتى تجتمع له أشياء كثيرة حسنة... قال: فكأنّك تقول إنه من قولك زُويت لي الأرض... أي جُمعت وجُمع، فقلت: وإلى هذا ذهبتُ، فأصغى نحوه، ثم قال: لم يرد الاستعمال إلا (يتزيّا)، فقلت له: إن العامة ليست ألفاظها حُججًا"(٣).

والذي يظهر للباحثين أن مراد المتنبي شيء، ومراد ابن جني شيء آخر؛ لأن (الزوي) في اللغة معناه الجمع، كما جاء الحديث عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال: "زُويتْ لي الأرضُ حتى رأيتُ مَشَارِقَها ومَغَارِبَها"(٤)، ومراد الشاعر (التزيي) الذي هو مأخوذ من الزّي، وهو المظهر الذي يظهر به الإنسان، فيقال جاء فلان في زيّ الملوك وفي زيّ العلماء؛ أي: هيئتهم ومظهرهم، وربما كان أصل الكلمة (السّي)، فأبدلت السّينُ زايًا، و(السّي) في اللغة يأتي بمعنى المِثْل.

المبحث الثاني: الغموض المعنوي

لا بد للباحث في السياق أن يفرق بين الغموض، الذي يعد وجهًا من أوجه البلاغة والإبهام الذي ينتج عن تعقيدات لفظية وتركيبية، تفضي إلى عدم وضوح المعنى. والحديث عن غموض المعنى يقود بالضرورة إلى الحديث عن ثقافة الشّاعر نفسه، ولا شكّ أنّ المتنبي كان واسع الثقافة، كثير القراءة والأمر عنده أنّ "الشّاعر العالم أفضل

(١) يُنظر: الصنعة في شعر المتنبي، ص٦٠.

(٢) البيت في الفسر ٣/٣٢٤.

(٣) الفسر ٣/٣٢٤-٣٢٥.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢/١٣٠٤.

من الشّاعر غير العالم"[١]، وكأنّي به حين يُسأل عن الغموض في شعره يرد بلسان أبي تمام: "لِمَ لا تفهم ما يُقال؟"[٢].

هناك مواضع غامضة وردت في ديوان المتنبي، جعلت ابن جنّي يفسرها بأقوال المتنبي نفسه، حين يشعر أنّ هناك إشكالاً في فهم معانيها، ومن ذلك ما نجده من قول للمتنبي عندما أوقع سيف الدولة ببني عُقيل وبني قُشير، وأمكن منهم ومن بني العجلان وبني كلاب، حين تحالفوا على سيف الدولة، فقال أبو الطيب: (من الوافر)[٣].

بَنُو كَعبٍ ومَا أثَّرتَ فِيهِم يَدٌ لم يُدْمِهَا إلا السِّوارُ

فالغموض الذي يكمن في البيت يتمثل في قول السائل: كيف يمكن فهم الصورة، التي أراد المتنبي رسمها لشخص قد أكثر من القتل في أعدائه، ومع ذلك يعد فعله هذا تشريفًا لهؤلاءِ المنكَّل بهم، فاليد التي قد يؤلمها السوار ويدميها تظهر في البيت أنها تتزيّن بهذا السوار؟!

قال ابن جني: "أي هم يتجمَّلون بك وبإسرائك إليهم؛ لأنّك قد شرفتهم بذلك، وإن كنت قد قتلتهم وأهلكتهم، كما أن اليد إذا أدماها السّوار فقد أوجعها، وإن كان جَمالَها"[٤]، زد على ذلك أن ابن جنّي قد فسّر هذا الغموض المعنوي بقول المتنبي نفسه من القصيدة نفسها، فقال: "وقد فسّر معنى هذا البيت بقوله: (من الوافر).

بِهَا مِن قَطعِهِ أَلَمٌ ونَقصٌ وفِيهَا مِن جَلَالَتِهِ افتِخَارُ"[٥]

وبهذا البيت الذي أشار إليه ابن جنّي تتجلى الصورة واضحة، وتكشف الغموض الذي سبق في البيت الأول، وأن المراد تصويره هو ذلك الأمير صاحب الشأن العالي، الذي يتشرف به كل أحد، وإن كان ذلك الأحد هو عدوه[٦].

ويظهر للباحثَين أن المتنبي قد أفرط في الغموض والإبهام، حتى إن ابن جنّي، صديقه قد يضيق ذرعًا بهذا الإفراط، وهذا ما نجده عند تفسيره بيت المتنبي في قصيدته التي مدح بها الأمير بدر بن عمار، الذي خرج يومًا في سرية إلى السّاحل، وقد نقل بعض الوشاة لهذا الأمير أنّ المتنبي ما تخلّف عن المسير معه إلا رغبةً عنه، وترفعًا بالنفس عن المسير مع ذلك الأمير[٧]، فقال: (من الكامل)[٨].

تَتَقاصَرُ الأَفهامُ عَن إدرَاكِهِ مِثلُ الذي الأَفلاكُ فيهِ والدُّنا

(١) الموازنة ٢٥/١.

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب، ٣٥٤/١.

(٣) البيت في الفسر ٩٢/٢.

(٤) المصدر السابق ٩٤/٢.

(٥) الفسر ٩٤/٢.

(٦) يُنظر: ملامح منهج التأويل الدلالي عند ابن جني في الفسر الصغير، ص٣٣.

(٧) يُنظر: الفسر، حاشية ٦٥٦/٣.

(٨) البيت في الفسر ٦٦٤/٣.

وقد نقل أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) أنّ المتنبي سُئل عما فيه الأفلاك والدنا؟ فقال: علم الله[١]، ثم عقّب العسكري على ذلك بقوله: "فأفرط وعمّى، وجمع دنيا على قول أهل الأدوار والتناسخ"[٢].

قال أبو الفتح مفسرًا هذا البيت: "و(الدُّنا) جمع دنيا، كما أن العُلى جمع عليا، والقُصى جمع القُصيا، وقد أفرط جدًا؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدُّنا هو علم الله، والله – سبحانه – يتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا"[٣].

ولسنا بصدد مساءلة المتنبي – رحمه الله – عن عقيدته، وإنّما الذي يظهر للباحثين أنَّ الشاعر لم يكن هناك تعبير غريب أو أسلوب غير مألوف إلا أتى به في شعره، حتى رأينا ابن جنّي – الذي طالما تسمّح معه في النقد – رأيناه يرفض هذا الإغراب في القول، ويصفه بالإفراط، وهذا النقد الذي نأخذه على الشاعر في جانب الدّيانة ليس هو المعيار في إظهار محاسن الشعر ومساوئها، ولكن "للإسلام حقه من الإجلال، الذي لا يسوّغ الإخلال به قولاً وفعلاً، ونظمًا ونثرًا"[٤].

ومما يلحظه الباحثان أنّ ابن جني لم يعرض إلى استعمال المتنبي لفظة (الدّنا) التي أشار إليها غير واحد من النقاد، بوصف هذا الاستعمال يشير إلى جماعة من الفلاسفة التي ترى تناسخ الأرواح في أجساد الحيوانات، وتتكرر تلك الأدوار إلى ما لا نهاية، وهذا بدوره يشير إلى أنّ المتنبي كان مثقفًا ثقافة واسعة، ويريد أن يُظهر تلك الثقافة في شعره؛ لينال إعجاب علماء عصره وخلفائهم على السّواء، وقد يتصنع ذلك أحيانًا كما يرى الدكتور شوقي ضيف[٥].

أورد ابن جني قولاً للمتنبي فيه غموض وإبهام؛ إذ قال في إحدى بكائياته: (من الوافر)[٦].

مَـــــا الخِـــــلُّ إلا مَـــــن أَوَدُّ بِقلبـــــهِ وأَرَى بِطـــــرفٍ لا يَـــــرى بِسَـــــوائِهِ

وذكر ابن جني أن معنى البيت يحتمل دلالتين، فقال: "ومعنى البيت، ليس لك خِلٌّ غيرُ نفسك، فلا تلتفت إلى قول أحدٍ قال: إنني خليلٌ لك؛ أي: قد فسد الناس"[٧].

وما يلبث أبو الفتح حتى يورد الاحتمال الثاني لمعنى البيت، فيقول: "ويجوز أن يكون المعنى: ما الخلُّ إلا مَن لا فرق بيني وبينه، فإذا وددت فكأنني بقلبه أود، وإذا رأيت فكأنني بطرفه أرى، أي: إنّما يستحق أن يسمى خلاً من كان منك بهذه المثابة"[٨].

والتفسير الثاني وإن كان ألطف وأملح من التفسير الأول للبيت إلا أنّ الباحثين يميلان إلى أنَّ التفسير الأول أقرب إلى نفسية المتنبي؛ لِما عُرف عنه من اعتداد بالنفس الدائم في استعمال المعاني الأكثر غرابة، وذلك ما يتوافق مع

(١) ينظر: كتاب الصناعتين، ص٣٦٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الفسر ٦٦٤/٣.

(٤) أبو الطيب وما له وما عليه، ص٩٨.

(٥) ينظر: الفن ومذاهبه، ص٣١١.

(٦) البيت في الفسر ٤٣/١.

(٧) الفسر ٤٥/١-٤٦.

(٨) المصدر السابق ٤٦/١.

البيت محل الشاهد، وهو ما يتوافق –كذلك – مع سيرة الشاعر نفسه. ومصداق ذلك مأخوذ من قول المتنبي في موضع آخر: (من الوافر)[١].

خَليلُـــكَ أَنـــتَ لا مَـــن قُلـــتَ خِلَّـــي وإن كثُـــــرَ التَّجمُّـــــلُ والكَـــــلامُ

قال ابن جني: "أي: ليس لأحدٍ صديق في الحقيقة غيرُ نفسه"[٢].

إنّ الغموض في المعنى يزيد من توليد الدلالة وتعددها، وهذا التوليد لا يتأتّى إلا لِمَن حذق اللسان العربي وعلم خفاياه، وجميع ما ذُكر قد تحصّل لأبي الطيب، وقد نص العلماء على أنّ اللفظ الذي يحتمل التأويل وتعدد الدلالة، هو "الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه"[٣]، ولا خلاف بين اثنين في أنَّ قصائد المتنبي من أكثر القصائد العربية احتمالاً للتأويلات المتعددة، ومع ذلك ينبغي لنا أخذ الحذر في توسع الدلالة؛ إذ حذر من ذلك عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، وذكر أنَّ بعضهم "يتأولون في الكلام الواحد تأويلين أو أكثر، ويفسّرون البيت الواحد عدّة تفاسير، وهو على ذاك الطريق المزلة، الذي ورّط كثيرًا من الناس في الهلكة"[٤].

ومن الغموض الذي حاول أبو الفتح ابن جني تفسيره ما ورد في قصيدة المتنبي التي امتدح بها سيف الدولة، وذكّره ببناء (الحدث) بعد أن كان أهلها قد أسلموها عن الأمان إلى الروم. فقال أبو الطيب: (من الطويل)[٥].

هَـــلِ الحَـــدَثُ الحَمـــرَاءُ تَعـــرِفُ لَونَهَـــا وتَعلَـــــمُ أَيُّ السَّـــــاقِيَينِ الغَمِـــــائمُ

قال أبو الفتح: "أي: لا تعرف لونها؛ لأنّه قد بناها غير بنائها الأول، وجعلها حمراء؛ لأنّ الحجر الذي بُنيت به كان أحمر اللون، ويجوز أن يكون سمّاها (حُمْرًا)؛ لأنّ الدماء أريقت بها"[٦].

ولا يرى الباحثان سببًا في عدم ترجيح ابن جني أيَّ المعنيين أقرب، وأيهما أبعد عن الفهم، وهذا دأبه – رحمه الله – في كثير من المواضع؛ إذ نجد أنه لا يفصل في المسائل الشائكة التي لا تحتمل تعدد الدلالة.

ويذهب الباحثان إلى ترجيح التفسير الثاني، الذي ذكره ابن جني، ولاسيما أنّ البيت الذي بعده يوضح ذلك بما لا يدع مجالاً للتأويل؛ إذ يقول:

سَـــقَتْها الغَمـــامُ الغُـــرُّ قبـــلَ نزولِـــهِ فلَمَّـــا دَنَا مِنهَـــا سَـــقَتْها الجَمَـــاجِمُ

قال ابن جني: "أي: شربت بقربه منها دماء مَن قتله من الروم"[٧].

(١) البيت في الفسر ٥٠٢/٣.
(٢) الفسر ٥٠٢/٣.
(٣) الكليات، ص٨٤٧.
(٤) دلائل الإعجاز، ص٣٧٤.
(٥) البيت في الفسر ٣٩٤/٣.
(٦) المصدر السابق.
(٧) الفسر ٣٩٥/٣.

إن سكوت ابن جنّي وعدم ترجيحه أحد المعنيين اللذين احتملهما غموض البيت في القصيدة ليجعل المتنبي – بحسب التفسير الأول لابن جني – ساردًا الأحداث التاريخية ليس غير.

بخلاف المعنى الثاني الذي يبدو للباحثين أنَّه هو المراد، الذي يصوّر الملحمة التي حدثت بكل ما تعنيه كلمة (الدّم) الأحمر، الذي اصطبغت به قلعة (الحدث).

والعلة في ذهاب الباحثين إلى ترجيح المعنى الثاني أن "البناء لو بُني ألف مرة من تربة واحدة، لم يتغيّر لونه، وما الذي يوجب في بنائه لها ثانيًا أن تنكر لونه ولا تعرفه؟ ومن يقول: إنّ الحجر الذي بنيت به كان أحمر؟ وهبه كذلك، لِمَ لا تعرف لونها لحمرة حجارة بنيت منها؟ على أن الحجارة التي تنصب بها الأبنية تطيّن بعدها، فيغير الطين ألوانها، وهذه كلها فاسدة كما ترى، والمعنى أن سيف الدولة أراق بها من الدّماء الرّوية ما اختضبت به تلك البقعة عُلُوًا وسُفلاً"(١).

ومن الأبيات الشعرية التي عدّها ابن جني مما يُشْكِل على المتلقّي، ويغمض معناه، ما قاله أبو الطيب مادحًا أبا عليٍّ هارون بن عبد العزيز الأوراجي: (من الكامل)(٢).

أَبــدَأتَ شــيئًا مِنــكَ يُعــرَفُ بَــدْؤُهُ وأَعــدَّتَ حــتّى أُنكِــرَ الإبــدَاءُ

إن الغموض الذي يكتنف هذا البيت يتمثّل في السبب الذي جعل الناس ينكرون ما كان يبدو على الممدوح من الإكرام، وبذل العطايا، وهذا ما جعل ابن جنّي يبحث عن تعليلات مستساغة لتفسير مكمن الغموض في البيت، الذي خالف عادة المتكلمين في مدح الكريم، فالأصل أن المكرَم يحفظ للمُكرِم مكرمته، ويذكر له جميله، غير أنّ أبا الطيب قد قلب هذا العرف، وزعم أن المكرَمين قد أنكروا ما أكرموا به، فقال ابن جني: "يقال: بدأتُ الشيء إذا أخرجته من العدم إلى الوجود، وأبديته، أظهرته، وهو من (بدا) (يبدو)، قال الله –عز وجل–: (كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) [العنكبوت/ آية ٢١٩]... أي: فلستَ تُمطَر لإجداب محلك، ولكن يُمطَر المكانُ الخصيبُ المستغني عن المطر، وكما يُمطر البحر على كثرة مائه"(٣).

إن المبالغة المفرطة في غموض المعاني ليست مزية لجودة الشعر، ولو كان الأمر كذلك لكان المحدثون أشعر من الأوائل، وكلما غالى الشاعر في المعاني وعمق، بَعُد من القلوب، و"لهذا كان ابن جنّي مخطئًا حين تناول نقد الشعر من زاوية المعاني وحدها"(٤).

وكذلك هي الحال عند قول أبي الطيب في مدح الحسن بن إسحاق التنوخي:(من الطويل)(٥).

مُــــذِلُّ الأَعِــــزَّاءِ المعِــــزُّ وإنْ يَــــئِنْ بِــــه يُــــتمُهُم فــــالموتمُ الجَــــابِرُ اليُــــتمِ

(١) قشر الفسر ٣٠٣/٢.
(٢) البيت في الفسر ١١٥/١.
(٣) الفسر ١٢٠/١.
(٤) تاريخ النقد الأدبي، ص٢٩١.
(٥) البيت في الفسر ٤٧٦/٣.

قال ابن جني: "أي: هو مذل الأعزاء، ومعز الأذلاء أيضًا؛ كأنّه يرفع قومًا، ويضع آخرين"(١)، غير أن الغموض هنا يكمن في المفارقة التي أوردها الشاعر، بل التناقض الذي زعمه في الممدوح؛ فلا يمكن أن يكون التنوخي سببًا في يتمهم، وفي الوقت نفسه هو جابرٌ لهم، "فإن حان يتمهم على يديه فهو الموتم، وهو أيضًا الجابرُ اليتم، وتفسير آخر البيت كتفسير أوله"(٢).

والذي يتسق مع منهج المتنبي في المعاني، هو كون الممدوح يوتم أبناء أعدائه، ويجبر يُتم أولاد أوليائه، وكان يغني عن ذلك كله لو أن ابن جنّي رجّح أحد التفسيرين، ولم يترك الأمر غرضًا ترميه سهام الناقدين، لكنه لم يفعل! ومن المواضع التي وردت في كتاب الفسر، وهي تحمل غموضًا في معناها، ما ذكره المؤلف، وهو يفسر قول الشاعر، حين وصف قرية من قرى الرملة تسمى (كَفْرَ زِنّس): (من مجزوء الكامل)(٣).

حَتَّى دَخَلنَا جَنَّةً ... لَو أَنَّ سَاكِنَها مُخَلَّدْ

خَضرَاءَ حَمرَاءَ الثَّرَى ... بِ كَأَنَّهَا فِي خَدِّ أَغيَدْ

ناقش ابن جني هذين البيتين بعد شرحه لمعناهما، بأنّ المتنبي قد دخل قرية كأنّها جنة لو طال بقاءُ مَن يسكنها، فأرضها اختلطت فيها الألوان ما بين حمرة ترابها واخضرار نباتها، مشبّهًا ذلك اللون الذي يراه على وجه هذه الأرض بخد غيداء، والأغيد هو الوسنان المائل العنق، المتثني نعومةً، غير أنّ الغموض لا يظهر هنا، وإنّما يظهر في التساؤل الذي أورده ابن جني؛ إذ قال: "فإن قيل: إن الغَيَدَ إنّما هو اللين، وليس من الحمرة في شيء"(٤)، فكيف يستقيم الأمر للمتنبي بين قوله (خضراء حمراء) واللين والنعومة، وكأنّ هناك عدم انسجام بين الوصف للألوان، والوصف للنعومة.

وقد حاول ابن جني أن يفسّر هذا الغموض، ويحل الإشكال، فذهب إلى أنّ الشّاعر إنّما أراد شيئًا فكنّى عن هذا الشيء بما يصاحبه في الغالب "فإنّ الغَيَدَ لا يكاد يخلو صاحبه من النعمة والبضاضة، فذكر شيئًا يُستدل به على غيره"(٥).

إن تخريج ابن جنّي آنفًا إنّما هو لمن حذق كلام العرب وطرائقها في التعبير، فإنّ الغالب الأعم أنّ المرأة الغيداء لا تكون إلا في عيش رغد، ومياه ناعمة، فيؤثر ذلك العيش الناعم في خدودها وبشرتها، ومن ثَمَّ لا تحتاج إلى الخروج والتعرض لأشعة الشمس، التي ستغيّر لون بشرتها، فتبقى في هنائها هذا الذي يورثها بشرةً بيضاء، تميل إلى

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) البيتان في الفسر ١٠٣٥/١.
(٤) الفسر ١٠٣٥/١.
(٥) المصدر السابق.

الحمرة، وهذا ما أراده المتنبي من هذا الوصف، الدقيق، الذي قد يخفى على قارئ الأبيات في الوهلة الأولى، و"أحسن الشعر ما ينتظم فيه القول انتظامًا، يتسق به أوله مع آخره على ما يُنسّقه قائله"(١).

وهذا ما لا نجده – أحيانًا – في شعر المتنبي، الذي يرى يبدو أنّه يعمد إلى الغموض عمدًا، وليس الأمر قصورًا في شاعرية الشاعر، ولا هو نقص في لغته، أو ضعف، ولكن ذلك دأب المتنبي، فهو "رجل الاختلاف والشوارد والخصومات؛ لأنّه صاحب نص مختلف ومفتوح"(٢).

ومن الغموض ما يكون في الإعراب الذي يقود إلى فهم المعنى، فقد ذكر ابن جني بيتًا للمتنبي يمدح به أبا أيوب أحمد بن عمران الأنطاكي، في مرض ألمّ به، فقال: (من الكامل)(٣).

سِـــــرْبٌ مَحَاسِـــــنه حُرمـــــتُ ذواتِهـــــا دَانِي الصِّـــــفاتِ بَعيـــــدُ مُوصُـــــوفاتِها

نجد أنّ في البيت تعقيدًا وغموضًا في معناه، وذلك عائد إلى الحذف الذي اختاره المتنبي في مطلع البيت، فالتقدير أن المبتدأ محذوف و(سرب) خبره، و(محاسنه) مبتدأ ثانٍ خبره الجملة (حرمت ذواتها)، وقد حاول ابن جني أن يفسّر معنى البيت بقوله: "هواي سرب حُرمت ذوات محاسنه، أي: صواحب محاسنه، وذوات محاسن السّرب هو السِّرب، فكأنّه قال: هوايَ سرب حرمته، أي حيل بيني وبينه، وهو داني الصفات؛ لأن الوصف قولٌ وهو قادر عليه متى أراده، إلا أنّ الموصوف بهذه الصفة وهو السِّرب بعيد مني وذكره حاضر معي"(٤).

إنّ هذه الغرابة قد أشار إليها الحموي (ت٨٣٧هـ)، فقال: "معنى هذا المطلع في غاية الحسن والغرابة، فإنّه يقول: هذا سرب حيل بيني وبين كل حسناء منه، وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول؛ ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة، ولم يزل في غرابة هذا الأسلوب"(٥).

ثم يعود ابن جني في نقد طريقة المتنبي في التعبير، فيقول: "وفي هذا البيت شيء من الإعراب لطيف المذهب، منع سيبويه منه البتة، وهو إضافة (ذو) وأخواتها إلى المضمر؛ لأنّه لا يجيز: (هذا رجل ضربتُ ذاه)، بمعنى صاحبه، وكذلك مَن تبعه من أصحابه"(٦).

فإن كان ابن جنّي قد ذهب متسامحًا مع المتنبي في هذا الموضع، على الرّغم من مخالفته مذهب البصريين، فإنّ الباحثين لا يوافقان المتنبي على هذا الاستعمال؛ لأنّ في ذلك خروجا عن السّمت العربي، ولاسيما أنّ الشّاعر يَعمدُ إلى ذلك، ولم يلجأ في ذلك إلى ضرورة شعرية أو غيرها. زد على ذلك أنّ الشّاعر قد استعمل لفظًا آخر يخالف به سيبويه ومَن تبعه، ويغرب به في المعنى، حين قال: (بعيد موصوفاتها)؛ لأنّ الضمير هنا لا يعود على

(١) عيار الشعر، ص٢١٣.

(٢) المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية، وبحث في الشبه المختلف، د. عبد الله الغذامي، ص٩٤.

(٣) البيت في الفسر ٦٥٨/١.

(٤) المصدر السابق ٦٥٨/١-٦٥٩.

(٥) خزانة الأدب وغاية الأرب ٣٣٢/١.

(٦) الفسر ٦٥٩/١.

(السّرب)، وإنّما يعود على (الصفات)، غير أنّ أبا الفتح استحسن هذا الخروج قائلاً: "فأمّا قوله: (بعيد موصوفاتها)، فحسن مستقيم، وليس مثلما أجازه سيبويه ضرورةً، وردّه عليه أصحابه، وهو إجازته: مررت بامرأة حسنةٍ وجهُها؛ لأنّ الضمير من (وجهها) يعود على المرأة، والضمير في (موصوفاتها) ليس يعود على السّرب، إنّما يعود على الصفات، فجرى ذلك مجرى قولك: مررت برجل حسنِ الثيابِ طويلِ أردانها، فعاد الضمير من (أردانها) على الثياب، ولو أعدته على الرجل، فقلت: طويلِ أردانه؛ لكان قبيحًا، كما وصفنا"[١].

ونجد أنّ ابن جنّي في بعض المواضع لا ينظر إلى البيت الشعري إلا نظرة النَّحْوي أو الصرفي، ومن هذا ما ذكره عند تفسيره قول المتنبي في مدح عضد الدولة أبي شجاع: (من المنسرح)[٢].

تَبُـــلُّ خَـــدَّيَّ كُلَّمَـــا ابتَسَـــمَتْ مِـــن مَطَـــرٍ بَرْقُـــهُ ثَنَايَاهَـــا

قال أبو الفتح: "أي: بريق ثناياها، وقد دَلَّ في هذه الأبيات على أنّها كانت منكبّةً عليه، وعلى غاية القرب منه، ويشير إلى البصاق والقبل التي كانت هناك"[٣].

ويبدو للباحثين أنَّ ابن جنّي لم يوفّق في شرح هذا البيت؛ لأنّه لم يستشعره استشعار المحبين، وقد أنكر عليه غيرُ واحد من الشُّراح والنُّقّاد، فهذا الزوزني ينقد قوله قائلاً: "هذا معنى بديع، وحاشاه أنْ يكون ما أنشأه في شرحه وأفشاه، فإنّها لو كانت منكبة عليه لما كانت تبلُّ خدّيه إلا بمدامعها أو بريقها، فإنْ كان قبّل خديه بدمعها، فدمع المعشوق: دمع الفراق أو دمع هجرٍ أو دمع دلالٍ، وفي انكبابها عليه ما ينفي هذه الدموع الثلاثة، ولم يبقَ بعدها بلٌّ إلا بالرّيق، فإنْ كان هذا المطر ريقًا فما أثَرَه وأكثره، وما أكرهه وأقذره!"[٤].

زد على ذلك أنّ ابن جنّي لم يقلّب معنى البيت على غير معناه الذي ذُكر آنفًا، وذهب يستشهد على ذلك المعنى بقول آخر للمتنبي، فقال: "وهو قريب من قوله: (من الطويل).

وأَشْـــنَبَ مَعسُـــولِ الثَّنيـــاتِ واضِـــحٍ سَـــتَرتُ فَمِـــي عنـــهُ فَقَبَّـــلَ مَفرَقِـــي""[٥]

قال ابن الأثير – مستغربًا ذهاب ابن جنّي إلى هذا المعنى-: "وما كنت أظنُّ أن أحدًا من النّاس يذهب وهمه وخاطره حيث ذهب وَهْمُ هذا الرجل وخاطرُه، وإذا كان هذا قول إمام من أئمة العربية تُشد إليه الرّحال، فما يقال في غيره؟ لكن فنّ الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب"[٦].

والذي يذهب إليه الباحثان أن لهذا البيت الذي حمل غموضًا معنويًا تفسيرين، أحدهما: ما ذهب إليه ابن جني، والآخر: أنّه كلّما ابتسمت محبوبة الشاعر أخذه البكاء؛ إذ إنّه يخاف من فراقها، والله أعلم.

---

(١) الفسر ٦٦٠/١.

(٢) المصدر السابق ٧٥٩/٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) قشر الفسر ٣٦٣/٢.

(٥) الفسر ٧٥٩/٣.

(٦) المثل السائر ٣٦٨/١.

ومن الغموض الذي ذكره ابن جني في قصائد المتنبي ما جاء في مدحه كافورًا، إذ قال: (من الطويل)[١].

إذَا لَمْ تَـــــنُطْ بِي ضَـــــيعَةً أو ولَايَـــــةً فجُـــودُكَ يَكسُـــوني وشُـــغلُكَ يَســـلُبُ

نجد – هنا – أنّ ابن جنّي يرى في ذلك إشارة إلى كثرة مؤنه، وقلة فائدته، فقال: "لم تنط أي لم تسند إليَّ جيشًا، أو تهب لي ضيعة؛ أي: ليس في دخلي كفاء خرجي، يريد كثرة مُؤْنَتِه، وقلّة فائدتِه"[٢].

فكأنّ أبا الفتح لم ينعم النظرَ إلى البيت، فالمتنبي يوحي هنا إلى الإشارة إلى استعداده للرحيل، والإفصاح عن ذلك لقلّة الرضا بحاله، كما ذهب إلى ذلك الزوزني، مخطئًا تفسير ابن جنّي؛ إذ قال: "سبحان الله العلي! أيّ مجال فيه للجيش، وأيّ مقال يدل عليه؟ ولعله وقع في الولاية إليه، وإنّما لطريقة هذا المبتلى بخدمة هذا الأسود"[٣].

والذي يظهر للباحثين أنّه "ليس في كلامه ما يدلُّ على أنّه ليس في دخله كفاء لخرجه، ولا على كثرة المؤونة، وقلة الفائدة؛ وإنما كان كافور قد وعده بأنْ يوليه ويقطعه، فجعل يسوّفه ويمطله، وجعل يعطيه الشّيء بعد الشّيء ما يقوم بمؤونته ومؤونة دوابه وغلمانه، فلما طال عليه ذلك، قال له: إذا لم تنط بي ما وعدتني، وأعطيتني شيئًا لا يبقى لي، ولا يفضل عني لأني أخرجه أولاً فأولاً، فكأنّك لم تصنع شيئًا. فجعل جوده في إعطائه له هذا الشّيء اليسير بمنزلة الكسوة، وشغله له وقطعه عن التسبب بمنزلة السلب، فهذا هو المعنى"[٤]، الذي خفي على أبي الفتح عثمان بن جني.

إن تلاعب المتنبي بالألفاظ، وعدم وضوح معناها، هو ما جعل ابن جنّي ينصرف إلى تفسير البيت تفسيرًا ظاهرًا، بتوضيح معاني مفرداته ليس غير، وإنْ رأى في أبيات المتنبي غموضًا وإشكالاً، فإنّه يعد ذلك منقبة للشاعر، لا مثلبة، فهو يرى أن المبالغة في قلب الاستعمال يكون عذبًا ورائقًا، و"هذا من عادته قلب الألفاظ للمبالغة"[٥].

وهذا الذي قاله ابن جني هو ما يذهب إليه العكبري وغيره من النقّاد لشعر المتنبي، فقد "أجمع الحذاق بمعرفة الشّعر أن لأبي الطيب نوادر لم تأتِ في شعر غيره"[٦].

يُعد المتنبي من أشهر الشعراء مخالفة للواقع، سواء أكان ذلك في استعمال اللفظ أم في تسخير المعنى، وقد تحدث في هذه المخالفة ابن جنّي عند تفسيره بيتًا للمتنبي من قصيدة يمتدح بها المغيث بن علي بن بشر العِجلي: (من الوافر)[٧].

---

(١) البيت في الفسر ٥٧٣/١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قشر الفسر ٨١/١.

(٤) المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب ٤١/١.

(٥) الفسر ٥١٦/١.

(٦) التبيان في شرح الديوان= شرح ديوان المتنبي، للعكبري ١٦١/١، ويُنظر: الفن ومذاهبه، ص٣٤٦.

(٧) البيت في الفسر ٥٠١/٣.

أَرانِـــــبُ غَـــــيرَ أَنَّهُـــــم مُلُـــــوكٌ مُفَتَّحَـــــةٌ عُيُـــــونُهُم نِيـــــامُ

قال ابن جني: "المعهود في هذا أن يقال: هم ملوك إلا أنّهم في صورة الأرانب، فتزايد وعكس الكلام مبالغةً، فقال: هم أرانب غير أنّهم ملوك، فجعل الأرانب حقيقة لهم، والملوك مستعارًا بهم، وهذه عادة له يفارق بها أكثر الشعراء"(١).

وقد أشكل هذا المعنى على النقاد، وغمض مراد المتنبي؛ إذ تساءلوا: لِمَ شبههم بالأرانب؟ والأشهر والأكثر أن العرب تشبه أفعال الخسّة والذلة بالكلاب – مثلاً – والروغان والخوف بالثعالب، ولم يُسمع أن أحدًا قال عند السّب والذم هو أرنب(٢).

نقل ابن فروجة البروجردي (ت٤٥٥هـ) تعليلاً لهذا الاستعمال المخالف للشائع، فقال: "وقد سألت عن ذلك بعض من حضر من أهل الأدب، فقال: أراه قال ذلك؛ لأنّ الأرنب تحيض، فهو يدّعي أنّهم كالنساء اللواتي يحضن"(٣).

والذي يظهر لي أنّ الأمر ليس كما ذهب إليه ابن فروجة؛ إذ لو كان الأمر كذلك لكان شبههم بالنساء من دون إبهام، ويبقى تشبيه المتنبي المقلوب موضع خلاف بين النقاد، وإن كان الفهم البدهي يتجه إلى أن مراده أن الأرنب تنام وعيناها مفتوحتان، وكذلك الملوك الذين عاشوا في زمن الشاعر، وأنّ الأرنب تخاف من أدنى شيء، وهؤلاء الملوك يخافون من أدنى شيء، وقد زعم الشاعر أن التشبيه يكون صحيحًا إذا جعلنا الأرانب تشبه هؤلاءِ الملوك، وليس العكس، وكأنهم "مع ذلك نيام، ولم يرد النوم الذي هو ضد اليقظة، وإنّما أراد أنّهم بله، لا يفطنون لما هم فيه، والعرب تمدح بقلة النوم وتذم إذا أَلِفَ الرجل ذلك"(٤).

وعلى أية حال يظهر للباحثين أن ابن جنّي لم يكن يقلّب الوجوه المحتملة المعاني في أبيات المتنبي، التي يكون فيها المعنى متعدد الدلالة، التي يكون في بعضها خفي الدلالة، ومن ثَمّ تكون الحاجة ماسَّة بالباحثين إلى دراسة الفسر وموازنته ببقية شروح ديوان المتنبي.

ومن مواضع الغموض في المعنى عند المتنبي، وتعد – أيضًا – مما خالف فيه الشائع بين الشعراء قوله في قصيدة يمدح بها أبا علي هارون بن عبد العزيز الأرواجي: (من الكامل)(٥).

أَسَـــفِي عَلَـــى أَسَـــفِي الـــذي دَلَّهْتَـــنِي عَـــن عِلمِـــهِ فَبِـــهِ عَلَـــيَّ خَفَـــاءُ
وَشَـــكِيَّتِي فَقْـــدُ السِّـــقامِ لأَنَّـــهُ قَـــد كَـــانَ لَمَّـــا كَـــانَ لِي أَعضَـــاءُ

(١) المصدر السابق.
(٢) ينظر: الفتح علي أبي الفتح، ص٣٠٥.
(٣) المصدر السابق.
(٤) اللامع العزيزي، ص١٢٥٢.
(٥) البيت في الفسر ٧٣/١.

نرى في هذا الأسلوب مفارقة من مفارقات أبي الطيب؛ إذ إنّ الناس قد تعارفوا على أنّ يأسف الإنسان على ذهاب شيء عزيز عليه، أو ما هو مُحبَّب لديه، أما أنْ يأسف المتنبي على الأسف نفسه، فهذه هي المفارقة، وهذا هو الإشكال بعينه، ويزعم الباحثان أنّه لا يعرف شاعرًا قد سبق المتنبي في استعمال هذا التركيب أو لحقه.

قال ابن جني في شرح هذين البيتين: "الأسف الحزن والكمد، والمدّله الذاهب العقل يقول: فأنا أحزن لذهاب عقلي حتى أنني قد خفي عليَّ حزني"(١).

ويبدو للباحث أن الشرح –آنفًا– ما زاد الغموض إلا غموضًا؛ إذ إنَّ ابن جنّي عندما شعر بعدم وضوح معنى البيت الأول، أردف شارحًا البيت الثاني، فقال: "وهذا يؤكد معنى الأول، يقول: إنما كنتُ أحسُّ السقام بأعضائي، فلما فنيت وتلفت للضر والمشقة شكوتُ فَقْدَ السقام؛ لأنّ السقم على كل حال موجود، والفاني معدوم، والعدم أعظم من السقم، هذا يقتضيه ظاهر اللفظ، ومحصول البيت أنّه يطلب أعضاءه لا السقام"(٢).

إنّ المعنى –كما يظهر للباحثين– هو أسف المتنبي على الأسف الذي ذهب عنه بعد أنْ ذهب عقله يوم الفراق، فلم يشعر به، فهو يأسف على ذلك الأسف، وكذلك هي الحال في البيت الثاني؛ إذ إنّ الناس تشتكي من السقام، غير أنّ الشاعر – هنا – لا يشكو السقام، وإنّما يشكو فقد السقام؛ وذلك أنّه كان يحسُّ بالسقام يوم كان إنسانًا سويًا له أعضاء تحس وتشعر، أما بعد أنْ أفناه الحبُّ، فلم يعد لديه إحساس وشعور، فوجود السقام كعدمه.

وليس الأمر كما قال ابن جنّي من أنّ الشاعر يأسف على ذهاب عقله أو يحزن؛ "لأنّ مَن ذهب عقله لا يحزن لشيء ولا يفرح به، ولا يخفى عنه ولا يبدو له، والمعنى أنني كنت أتأسف عليك لشدة شوقي إليك، فبلغت من السقم والنحول إلى الحال دلهتني عن علم الأسف فأنا أتأسف على ذلك الأسف"(٣).

إنّ التدله في الحب ودعوى السقم والنحول من آثار المتصوفة وأفكارهم، وهي التهمة التي رُمي بها المتنبي وإنْ لم يكن متصوفًا، فربما كان يتصنع هذا التصوف(٤).

وهذا موضع كالذي قبله، من استعمال المتنبي غريب المعاني ومشكلها، فقد ذكر ابن جني أن سيف الدولة قد استبطأ مديح المتنبي، وتنكر له، فساء ذلك أبا الطيب، فقال: (من المتقارب)(٥).

وَأَعلَـــــمُ أَنِّي إذا مَـــــا اعتَـــــذَرتُ إليـــــكَ أَرادَ اعتِـــــذَارِي اعتِـــــذَارا

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المآخذ على شراح ديوان المتنبي ٣/٧.

(٤) ينظر: الفن ومذاهبه، ص٣١٧.

(٥) البيت في الفسر ٢/٤٢.

وهنا يسجل الباحثان تفردًا جديدًا للمتنبي في استعمال عبارة (الاعتذار للاعتذار)؛ إذ لم يجدا – فيما يعلمان – أن شاعرًا متقدمًا قد سبق المتنبي في هذا الاستعمال، ولم يجدا كذلك أن شاعرًا متأخرًا قد تابع المتنبي في هذا الاستعمال.

فالبيت يحتمل أكثر من تفسير، إذ ربما يكون مراد الشاعر: إذا اعتذرت إليك من غير ذنب اقترفه، كان ذلك الاعتذار كذبًا، والكذب من الأمور التي يعتذر عن إتيانها[١].

وربما أراد المتنبي أن يقول: "أعلم أنّي إذا تعرضت للعذر، وبسطتُ فيه شيئًا من القول، قابلتَ ذلك بالإنكار والرّد، فأواصل العذر بما لا تقبله، وأكثر القول بما لا تسمعه"[٢].

إنّ غموض الدلالة التي يحملها البيت هو ما دفع ابن جنّي – رحمه الله – إلى وصف البيت وقائله بالخبث، فقال: "اعتذاري من غير ذنب شيء منكر، ينبغي أن اعتذر منه؛ لأنّه شيء في غير موضعه، ولولا أنَّ هذا في سيف الدولة لجوّزت أنْ يكون قد تخابث فيه، وطواه على هجاءٍ وألغز به، وغالط، وأكثر مدحه هكذا، فتفطن له"[٣].

وقد ذكر ابن جنّي في موضع آخر – صراحة – أنَّ مدح المتنبي – أحيانًا – يكون فيه ذم خفيّ، وذلك حين فسّر قوله في مدح كافور الأخشيدي: (من الطويل)[٤].

وَمَـــا طَـــرَبِي لمّـــا رَأيتُـــكَ بِدعَـــةً لَقَـــد كُنـــتُ أَرجُـــو أَن أَرَاكَ فَـــأَطرَبُ

قال ابن جني: "لما قرأت عليه هذا البيت قلت له: أجعلت الرجل أبا زنه[٥]، فضحك لذلك وعطف: (أطرب) على (أرجو) أي: كنت أرجو، فأطرب على الرجاء، وهذا البيت، وإن كان ظاهره مديحًا، فإنه إلى الهُزْءِ أقربُ"[٦].

وهناك إشكالية أخرى في هذا البيت، فهناك من يرى أنّ المتنبي قد وقع في مخالفة نحوية، تمثلت في رفع الفعل المضارع (فأطرب)، وقيل: إنّه ينبغي أن يكون منصوبًا لوقوعه بعد الفاء إمّا عطفًا على الفعل (أراك)، أو حملًا على كون الفاء للسببية، والفعل بعدها منصوب بأن المضمرة وجوبًا. إلّا أنّ الباحثين يذهبان إلى أخذ الفعل على الظاهر، إذ هناك ثلاثة أسباب موجوبة للرفع، وهي على النحو الآتي:

- الأول: قول ابن جنّي: إنّه مرفوع بالعطف على الفعل (أرجو)، وهناك من يرى عدم صحة هذا التوجيه؛ لأنّ الطرب متوقف على الرؤية لا على الرجاء[٧].

(١) يُنظر: المآخذ على شرح ديوان المتنبي ٩٨/١.
(٢) شرح معاني شعر المتنبي ١٣٦/٢.
(٣) الفسر ٤٢/٢.
(٤) البيت في الفسر ٥٨٣/١.
(٥) قال الليث: (أبو زَنَّة: كنية القرد) العين ٣٥٠/٧.
(٦) الفسر ٥٨٣/١.
(٧) ينظر: الفسر ٥٨٣/١.

- الثاني: قول العكبري: إنّه في موضع جواب، تقديره: كنت أتمنى أن أراك فأفرحُ برؤيتك وأطرب، وهو ليس في موضع عطف، ولو كان معطوفًا لفسد المعنى(١).
- الثالث: قد يُقال: إنّه لو لم يكن هناك موجب للرفع، لكان جائزًا للضرورة الشعرية؛ إذ إنّ حرف الروي قد جاء مرفوعًا في جميع أبيات القصيدة، فلزم أن يأتي مرفوعًا في (فأطرب)، وهذا مما يُعرف بالإقواء.

الخاتمـة:

في ختام هذه الرحلة العلمية التي ناقشت ظاهرة الغموض في شعر المتنبي من خلال كتاب الفسر لابن جنّي، الذي يعدّ من أوثق روايات ديوان المتنبي؛ إذ إنّها أخذت مشافهة من الشّاعر نفسه، يدوّن الباحثان — هنا – أهم النتائج التي توصلا إليها:

١- تُعد ظاهرة الغموض اللغوي التي اشتهر بها المتنبي من أهم الأسباب التي دفعت ابن جنّي إلى شرح الديوان، واستخراج ما في جوفه من ذخيرة لغوية، وبراعة ذهنية في التحليل والموازنة بين ما قاله المتنبي، وما قاله غيره من الشعراء.

٢- انتصر ابن جنّي لمعظم معاني المتنبي، حتى جعلها شواهد على صحة شعر المولدين، وجعلها كما هي الحال في الاستشهاد بأشعار المتقدمين.

٣- ظهر للباحثين أن ابن جني لم يلتزم بمنهجه في تفسير قصائد المتنبي، فقد ذكر العديد من الأبيات من غير أن يشرحها شرحًا وافيًا.

٤- يرى الباحثان أن الشرح الكبير (الفسر) شاع فيه كلام رجل النحو والصرف أكثر منه كلام الأديب الناقد.

٥- ظهر من خلال البحث أن ابن جني قد سار في كتابه سير المدافع والمنافح عن المتنبي، أكثر منه سير الشارح المعتدل، على الرغم من إشارته في المقدمة، إلى اعتداله في الشرح. ويتجلى ذلك من خلال إقناع شيخه أبي علي الفارسي بشاعرية المتنبي، بعد أن كان أبو علي من أشد خصوم الشاعر.

٦- تبين للباحثين أنّ المتنبي ابتكر تراكيب لغوية، لم يُسبق إليها، ولم يتابعه أحد عليها، ومع ذلك لم يتحدث فيها ابن جنّي سواء أكان حديثه سلبًا أم إيجابًا.

٧- توصل الباحثان إلى تفسير ظاهرة الغموض عند المتنبي وسببها من خلال الشروح والمقدمات التي يذكرها ابن جنّي قبل الحديث في القصيدة التي يفسر أبياتها، وأن ذلك كلّه يعود إلى الاعتزاز بالنفس، الذي كان يحمله الشاعر، فهو الذي جاب الفلوات طولاً وعرضًا، وهو الذي اشترط على أمير زمانه سيف الدولة عدم الإنشاد واقفًا، وهو الذي طلب من كافور الأخشيدي مقاسمة أملاكه وأمواله، فكان جسورًا جدًا على حد تعبير ابن جنّي.

(١) ينظر: التبيان في شرح الديوان= شرح ديوان المتنبي لأبي البقاء العكبري ١/١٨٦.

٨- لقد عني ابن جنّي في شرحه ديوان المتنبي بتوضيح ما غمض من معاني الديوان، وأُعجِبَ –كثيرًا– بخروج المتنبي عن المألوف ومخالفة الشائع، ولعلّ ذلك ما دفع ابن جني إلى أن يعقد بابًا لمثل هذه الأساليب في كتابه (الخصائص)، ويسميه (باب شجاعة العربية)، ومما يرجّح هذا الزعم، أن كتاب الخصائص من أواخر مصنفات ابن جني.

كشَّاف المصادر والمراجع:

أولًا: القرآن الكريم

ثانيًا: المصادر والمراجع:

أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الحسين التجارية، القاهرة، د.ط، د.ت.

إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ.

البيان والتبيين، لعمرو بن بحر الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، للدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ)، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط٤، ١٩٨٣م.

التبيان في شرح الديوان= شرح ديوان المتنبي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري، (ت٦١٦هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة – بيروت، د.ط، د.ت.

تنبيه الأديب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب، لعبد الرحمن بن عبد الله، باكثير، الحضرمي، تحقيق: الدكتور رشيد عبد الرحمن الصالح، ط١، ١٩٧٦م.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

الحيوان، لعمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢،١٤٢٤ هـ.

خزانة الأدب وغاية الأرب، لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي الحموي (ت٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م

الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٦م.

دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ

ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس(ت٧هـ)، شرح وتحقيق: محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٩٨٣م.

ديوان المتنبي، شرح الإمام العلامة الواحدي، تحقيق: (فريدرتش ديتريصي)، طبعة برلين، ١٨٦١م.

سر الفصاحة، لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، ط١٤٠٢،١هـ

سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة (ت٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، طبعة ١٤١٨هـ.

شرح درة الغواص في أوهام الخواص، لأحمد بن محمد الخفاجي المصري، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ.

شرح معاني شعر المتنبي، لإبراهيم بن محمد الإفليلي(ت٤٤١هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى عليّان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

الصنعة الفنية في شعر المتنبي (دراسة نقدية)، للدكتور صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي، الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

علم اللغة العربية، للدكتور محمود فهمي حجازى، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني (ت٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ.

عيار الشعر، لمحمد بن أحمد بن محمد بن طباطبا، (ت٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٩٨٠م.

الفتح على أبي الفتح، لمحمد بن حَمَد بن محمد بن فُورَّجَة البروجردي (ت٤٥٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١٩٨٧،٢م

الفسر، شرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت٣٩٢هـ)، حققه وقدم له: الدكتور رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

الفن ومذاهبه في الشعر العربي، للدكتور شوقي ضيف (ت١٤٢٦هـ)، دار المعارف، القاهرة، ط١٢.

قَشْر الفَسْر، أبي سهل محمد بن الحسن الزَّوزَني (ت ٤٤٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ١٤٢٧ هـ

الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر الشهير بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ.

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، لأبي هلال الحسن بن عبد الله، (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ.

الكشف عن مساوي شعر المتنبي، لإسماعيل بن عباد بن العباس، الشهير بالصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد، ط١ ١٣٨٥ هـ.

الكليات، (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي(ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٢م.

لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور(ت٧١١هـ)، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي، أبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري (ت٤٤٩ هـ)

تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ

المآخذ على شُرّاح ديوان أبي الطَّيب المُتَنَبِّي، لأحمد بن علي بن معقل، المهَلَّبي (ت٦٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لأبي الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير(ت٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ.

المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية النقدية العربية، وبحث في الشبه المختلف، ص٩٤، الدكتور عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، ١٩٩٤م.

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ

معجم ديوان الأدب، لإسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤ هـ.

معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

المقتضب، لمحمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، د.ط، د.ت.

الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، (ت٦٦٩هـ)، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط٢، ١٣٩٢هـ.

نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.

الوساطة بين المتنبي وخصومه، لأبي الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ.

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، (ت٤٢٩هـ)، تحقيق: الدكتور مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

ثالثًا: المجلات والمواقع الإلكترونية:

ملامح منهج التأويل الدلالي عند ابن جني في الفسر الصغير، للدكتور عمر بن عبد العزيز المحمود، مجلة العلوم العربية، العدد السابع والعشرون، ربيع آخر،١٤٣٤هـ.

المتنبي شاعر فرض نفسه على محبيه وأعدائه، للدكتور: عبدالرحمن الهواوي،www.startimes.com.

المتنبي وسيف الدولة، للمؤرخ الألماني فريدرتش ديتريصي، www.wikipedia.org